sa7eralkutub.com

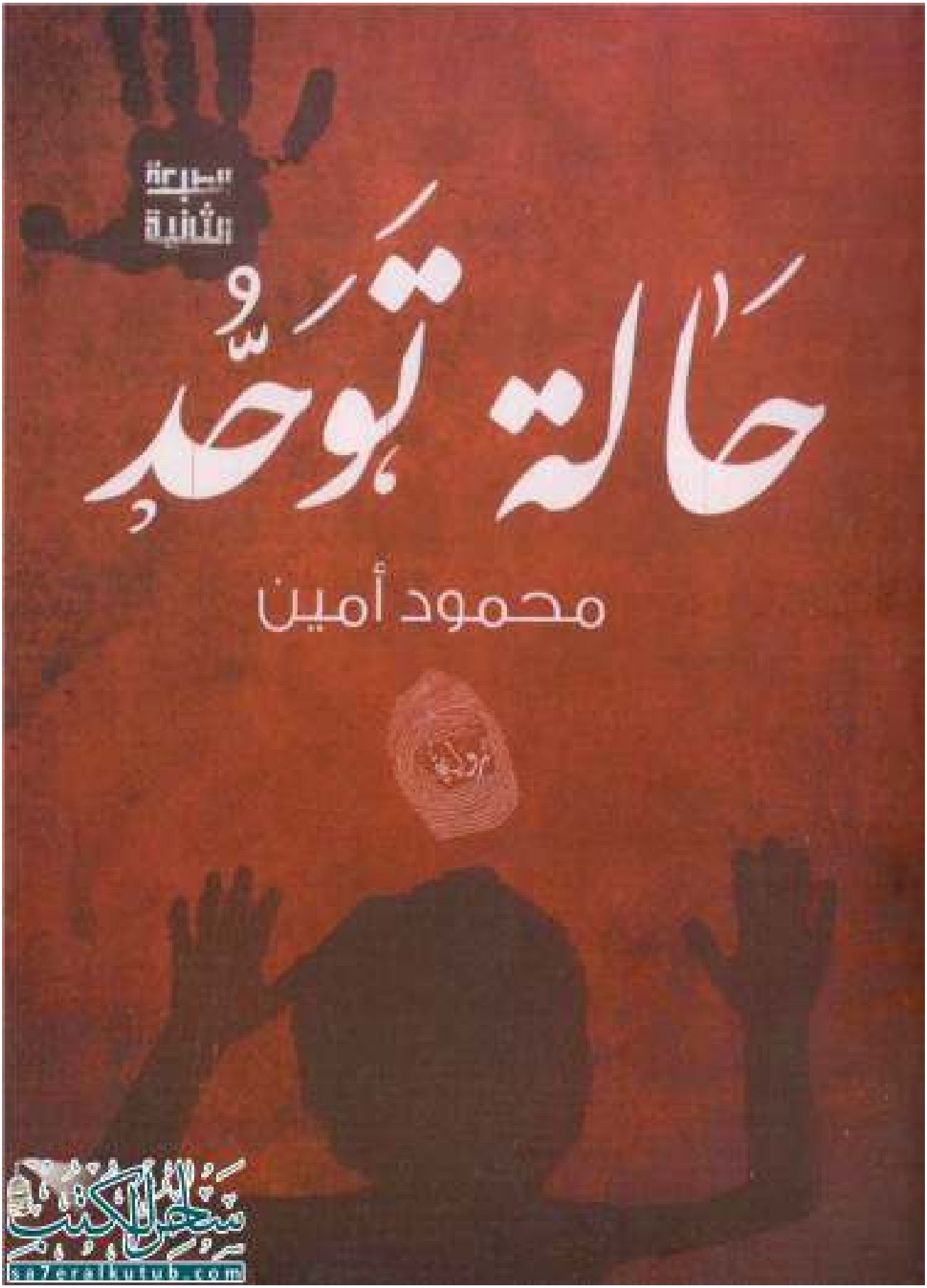

صحاب الكتب
sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

حَالَة تَوَحُّد

sa7eralkutub.com

جريمة قتل

تقف عربة الشرطة تحت البناية المكونة من أربعة طوابق.. تبادُل الضوء الأحمر والأزرق يدل على المصيبة الموجودة بداخلها، حولها كانت هناك حديقة صغيرة مثلها؛ ولأنها كانت موجودة في حي هادئ شديد الرقي، لم يتجمع الكثيرون حول سيارتي الشرطة والإسعاف الواقفتين تحتها؛ فمن المعروف تلك الهواية المحببة إلى نفوس الكثيرين، وهي التجمع حول أي مصيبة للاستمتاع بمشاهدتها.

أمام سيارة الإسعاف، وقف السائق مسندًا مؤخرته على غطاء السيارة الأمامي في هدوء وسكينة كأنه شاب ينتظر حبيبته على أول الطريق، كان كثيراً ما يقوم بنقل المرضى والموتى، حتى إنه لم يعد يتأثر، كل شيء يفقد وقاره بالتكرار، حتى الموت..

كانت البناية صغيرة وبسيطة من الخارج، على عكس الداخل؛ فكل طابق بها يتكون من شقة واحدة فقط واسعة، أو بالأحرى شديدة الاتساع، يمكن تقسيمها إلى ست شقق من شقق الحكومة التي يعطونها للشباب..

sa7eralkutub.com

الجريمة حدثت في الشقة التي تقع بالدور الثاني..

يصعد رجال المعمل الجنائي بسرعة على الدرج، هم ليسوا دائمًا بتلك الحماسة التي يبدون عليها الآن، لكن هذه الجريمة ذات طابع خاص لأهمية إحدى الشخصيات المقتولة.. الشخصيات المهمة تظل كذلك حتى تصل إلى داخل القبر.

يدخلون الشقة ليجدوها أقرب إلى المتحف منها إلى الشقة.. صالة استقبال شديدة الاتساع تحتوي على الكثير من قطع الأثاث، تقسمها درجتا سَلَّم.. الأرض الرخامية يغطيها سجاد تنغرس فيه أرجل رجال المعمل الجنائي في أثناء بحثهم الدؤوب عن أي دليل.. الجدران تعجّ باللوحات الثمينة التي تبدو ثمينة.. هم بالطبع لا يعرفون شيئًا عن الرسم، لكن هذه اللوحة التي تمثل سيدة نصف عارية تجلس أمام بحيرة يخرج منها تنين بالتأكيد تدل على الفن الرفيع، ناهيك عن اللوحات التي لم يتعرفوا هل هي معلّقة بطريقة صحيحة أم بالمقلوب.. دائمًا تعطي الأشياء غير المفهومة إيحاء بالأهمية، ربما لهذا السبب يكتب الأطباء أسماء الأدوية بخط أشبه بالشفرات السرية.

سوف يبدأون عملهم حتى يصل «كرم بيه»، لقد صار اسمه كذلك.. «كرم بيه» ليس شريرًا - إذا كنت تعتقد أن كل من يحمل لقب «بيه»

sa7eralkutub.com

يجب أن يكون كذلك - لكن كلمة «بيه» صارت ملتصقة بكل من يعمل بالشرطة من أمين الشرطة حتى وزير الداخلية..

دخل رجال المعمل الجنائي ليجولوا بالمكان كالخادمات في مملكة النحل، هذه القضية مهمة.. القتيلة ابنة رجل أعمال كبير، وزوجها كذلك، وزوجها لم يُقتل معها، هيَ فقط من ماتت، ربما تتساءل عن الرجل المقتول جوار القتيلة، هو ليس زوجها على كل حال.. من هو يا ترى؟!

يبدو أن الأمر فيه خيانة زوجية.. جثتا القتيلة العارية والرجل العاري المقتول جوارها، الذي ليس بزوجها، تنبئاننا بذلك، بالتأكيد لم يكونا يقومان بدراسة الطبيعة الجغرافية للصحراء الغربية.

يبدو أن هذه القضية بسيطة وستنتهي بأسرع مما نتصور.. فلنرفع البصمات.. هذا المقص المغطّى بالدماء يبدو أنه أداة الجريمة.

في صالة الاستقبال، كان يجلس طفل صغير في لا مبالاة، يداه ملوثتان بالدماء، يقف أمامه أمين شرطة يرمقه بشك، هذا الطفل هو «مازن»، ابن القتيلة، يشبهها كثيراً.. حتى لو لم ترَها سوف تعلم أنه يشبه أمه.. ملامحه الأنثوية إلى هذا الحد لا يمكن أن تكون لوالده، إلا لو كان والده يشبه جدته.. المهم أن تلك الملامح يجب أن تعود إلى أنثى في النهاية.

شعره البني الناعم الطويل يزيد من الإحساس أنه بنت، عيناه زرقاوان، لكنها ليست زُرقة عادية، بل زُرقة فاتحة بطريقة غير طبيعية..

sa7eralkutub.com

ربما عندما تراه لأول وهلة تعتقد أن هناك مصباحًا صغيرًا في عينيه من الداخل.. كان يجلس في هدوء.. لا يبكي.. لا يتكلم.. ولا يبدي أي رد فعل، يجلس في صمت كأن الأمر لا يعنيه.. يبدو عليه الملل كأنه ينتظر أن ينتهي هذا الهراء حتى يعود إلى ما كان يفعله.

كان النقيب «سعد» قد وصل.. اسمه لا يتناسب بالمرة مع عمله.. رجل مثله عمله كله يدور في فلك القتل والسرقة يجب ألا يكون اسمه «سعد»، أين «عباس» أو «فتحي» أو حتى «هشام»؟ المهم، أي شيء بعيد عن السعادة، كذلك جسده السمين ووجهه الطفولي البريء الذي يذكّرك بتمديقك الذي كان الجميع يضربه ويسخر منه في المرحلة الابتدائية، لا يمكن أن نقتنع بسهولة أن «سعد» يقوم بالتحقيق في تلك القضية.

بدأ «سعد» في جمع المعلومات التي يمكن الحصول عليها من حارس العقار العجوز الذي كان يعرف أن أمامه الكثير من الأيام السوداء في القسم حتى يعترف أنه القاتل.. البواب يعرف جيدًا أنهم عندما يحتارون في الفاعل أو إذا أرادوا حماية الفاعل سوف يأخذونه إلى القسم، وهناك سوف يعترف أنه الفاعل حتى لو لم يكن قد رأى القتيلة من قبل.. كل البوابين يعلمون جيدًا أن من مخاطر مهنتهم أن يتم إعدامهم بسبب أول جريمة قتل تحدث بالعقار.

sa7eralkutub.com

كان «سعد» يحاول تجهيز الشغل حتى يصل المعلم الكبير، المقدم «كرم»، الذي لم يكن مغروراً بلا مبرر - مع أنه ليس هناك مبرر للغرور - فقد كان شديد البراعة في عمله.. لا يرسله مدير الأمن إلا في القضايا الكبيرة، التي يريدون أن يمنعوا النشر فيها، كان «كرم» يعرف كيف يُسكت الصحفيين.. ولحساسية مكان الجريمة وحساسية مركز والد القتيلة وحساسية مركز زوجها - يبدو أن العائلة كلها مُصابة بالحساسية - تم اختيار المقدم «كرم» للعمل على القضية..

وصل المقدم «كرم»، وكان كأي ضابط شرطة، يعلم جيدًا أن عليه أن يرتدي نظارة سوداء، لم تكن من تلك التي تباع على الأرصفة بل كانت ماركة أصلية، يُخرج علبة السجائر ذات الفلتر الأصفر من جيبه، ينزل من السيارة فيضع لفافة تبغ في فمه بحركة مسرحية ثم ينظر إلى البناية وهو ما زال في الأسفل، كان يعرف أنه وسيم؛ فجسده الرياضي يجعله يبدو أصغر سنًا، يتقدمه أمين شرطة ليريه الطريق ويزيح أي شيء من أمامه، وقف أمام باب البناية ورمق البواب الذي كان يقف أمامه مرتجفًا، بعد لحظات من الصمت استمتع خلالها «كرم» بتحطيم أعصاب الرجل البائس، قال له بلهجة آمرة:

- أريدك بالأعلى.. تعال ورائي.

sa7eralkutub.com

صعد الحارس البائس خلف «كرم» وهو يشعر بدنو نهايته؛ فهذا الرجل لا يبدو طيبًا مثل «سعد»، وقف الأمين على باب الشقة ودخل «كرم» فتعلقت به الأبصار.. أول ما لفت انتباهه الطفل الجالس بهدوء وصمت.. أشار إلى «سعد» فأقبل عليه مهرولًا وهو يقول بنبرة جادة:

- تمام يا «كرم بيه».

يسأله دون أن ينظر إليه أو يخلع العوينات السوداء:

- هل حصلت على أي معلومات؟

فأشار «سعد» إلى الحارس العجوز الذي دخل خلف «كرم» وجلس في أحد أركان الصالة مثل فأر مذعور وقال:

- هذا الرجل يعرف الكثير وشديد الثرثرة، لا يتوقف عن الكلام.. والد القتيلة هو من أتى به للعمل هنا.. إنه يعرف العائلة منذ زمن.. لكني لم أتكلم معه كثيرًا حتى الآن.

خلع «كرم» العوينات بعد أن أصبحت الرؤية صعبة من خلالها.. هو يحب شكله بتلك العوينات لأنها تزيده غموضًا ووقارًا.. نظر «كرم» لـ«مازن» الذي كان لا يزال جالسًا في هدوء وسأل «سعد»:

- مَن هذا الطفل؟

ردَّ عليه «سعد»:

sa7eralkutub.com

- ابن القتيلة.. لم يتحرك من مكانه أو يتكلم منذ أن وصلنا.

عاد «كرم» يسأله وهو ينظر إليه نظرة فاحصة:

- هل هذا الذي في يديه دم؟

أجاب «سعد» وهو ينظر في ورقة صغيرة كان يكتب فيها بعض الملحوظات:

- نعم.. ربما دخل على والدته بعد مقتلها.

عاد «كرم» يسأله بتعجب:

- كيف يجلس هكذا ببرود؟

فأجابه «سعد» وهو يحك رأسه:

- ربما أصيب بصدمة.

فقال له «كرم» ساخرًا:

- صدمة؟ هل ستترك المباحث وتعمل في علم النفس؟!

اكتفى «سعد» بالنظر إليه في صمت فعاد يسأله بجدية:

- من الذي أبلغ عن الجريمة؟

أجابه «سعد» وهو يشعر بالخجل لسخريته منه:

- جار القتيلة، لقد شاهد هذا الولد يقف أمام باب الشقة ومعه المقص.. دخل ليجد المشهد الذي ستراه في غرفة النوم فأبلغ على الفور.

عاد «كرم» يسأله بفضول:

sa7eralkutub.com

- هل تحدثت معه؟

أجابه «سعد» بثقة:

- نعم.. يبدو أنه ليس له علاقة بالجريمة.

لم يُعجب «كرم» جزم «سعد» بعدم وجود علاقة للجار بالجريمة، لكنه لم يعلق على كلامه هذه المرة.. يكفي ما ناله من سخرية حتى الآن، هو على كل حال ينوي أن يحقق بنفسه مع كل مَن له علاقة بالقتيلة.. لم يسترح «كرم» للطفل - الذي كان يهز رجليه في قلق - منذ أن وقعت عيناه عليه فأشاح عنه بوجهه، وقال لـ«سعد» وهو يبحث عن غرفة النوم التي عرف في الهاتف أنها مسرح الجريمة:

sa7eralkutub.com

- حسنًا، سوف أتحدث مع ذلك الجار فيما بعد.. يجب أن أدخل الآن لرؤية الجثتين ثم أعود لأتحدث مع ذلك البواب الثرثار.

باب غرفة النوم من النوع الذي يطلقون عليه «سلسلة».. النصف السفلي خشب والنصف العلوي عبارة عن مستطيلات من الزجاج الملون الذي لا يسمح برؤية ما خلفه.. المستطيل بالقرب من مقبض الباب مكسور.. يبدو أن الباب كان موصدًا من الداخل فكسر القاتل الزجاج ليفتحه.. دخل «كرم» واقترب من جثة السيدة المغطاة بملاءة السرير.. كشف عن وجهها ليجد أثر مساحيق التجميل لا تزال على وجهها وشعرها

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

المصبوغ يتدلى على وجهها الذي فارقته آثار الحياة.. قال لرجال المعمل الجنائي الذين كانوا يدورون حوله ينتظرون أوامره:

- ما التقرير المبدئي للوفاة؟

رد عليه أحدهم على الفور:

- ماتا نتيجة الطعن بآلة حادة.. نظنه هذا المقص الذي وجدوه مع الطفل.. سوف نرفع البصمات من عليه حتى نرى هل هناك بصمات أخرى غير بصمات الطفل أم لا.

ثم رفع الرجل الذي كان يتحدث معه جزءاً من الغطاء ليكشف الجانب الأيمن لجثة السيدة.. كان هناك قطع على طول الجانب الأيمن للجثة.. فسأله «كرم» قبل أن يتكلم الرجل:

- هل هذا القطع أيضًا بسبب المقص؟

فهز الرجل رأسه كناية عن عدم المعرفة وقال:

- سوف نتأكد من كل شيء بعد رفع البصمات والتشريح.

فأشار «كرم» إلى جثة الرجل وقال:

- وهذا الرجل.. كيف قُتل؟

فأجابه الرجل وهو يهز رأسه:

- بالطريقة نفسها.. لكن القاتل لم يمثّل بجثته كما فعل بجثة السيدة.

sa7eralkutub.com

حالة توحد

من الواضح أن السبب الانتقام.. يتوقع «كرم» ألا يجدوا شيئًا مفقودًا، وربما يجدون شيئًا مفقودًا ويريد القاتل أن يظنوها عملية سرقة عادية.. على العموم، من المبكر جدًا الجزم بشيء الآن، لكن «كرم» يظن أن الأمر له علاقة بالانتقام..

خرج «كرم» من الغرفة ليترك رجال المعمل الجنائي يتمون عملهم، كان يؤمن أن استجواب الشهود يمكن أن يوصّله إلى كل شيء؛ لذلك كان يستعمل كل الأساليب القانونية وغير القانونية في الاستجواب.. عندما عاد إلى صالة الاستقبال جال فيها بعينيه حتى وجد الحارس العجوز الذي كان يجلس على الأرض كأنه فلاح فقد محصول العام، جلس على كرسي بجانبه ونظر إليه حيث كان في مستوى أدنى منه وقال بمودة مصطنعة سائلًا إياه:

- كيف حالك يا رجل يا عجوز؟ ما اسمك؟

فرد الرجل بصوت مرتعش:

- «تامر».

فقال له «كرم» بمزيج من التعجب والسخرية:

- «تامر»! من أين أنت يا عم «تامر»؟

فأجاب الرجل على الفور وهو يعتبر أن هذا هو أول سؤال في الاستجواب:

sa7eralkutub.com

- من سوهاج.

لم يتمالك «كرم» نفسه هذه المرة وأطلق ضحكة سخرية أخافت الحارس وهو يقول:

- صعيدي واسمك «تامر»! المهم، هل تريدني أن أسألك وأنتزع منك الكلمات كلمةً كلمة، أم أتركك لتحكي لنا كل ما تعرفه.. فأتركك هنا ولا آخذك إلى القسم.. أنت تعرف الحجز وما يحدث فيه.

فرد عليه الرجل بسرعة في فزع:

- أنا خادمك يا بيه.

فهز «كرم» رأسه في رضا وقال له:

- حسنًا.. قل لي كل ما تعرفه عن القتيلة منذ أن بدأت عملك هنا وحتى وفاتها.

بدأ الحارس بالكلام وهو يوشك على البكاء فقال له:

- لقد كنت أعمل لسنوات عند «عبد الرحيم بيه»، والد «مي» هانم، القتيلة.. تزوجت الهانم منذ أعوام ورُزقت بـ«مازن»، هذا الطفل الجالس هناك.. عندما ترك الحارس القديم العقار - كان ذلك منذ أربع سنوات - جاء بي «عبد الرحيم بيه» لحراسة العقار.. كنت قد قضيت سنوات في حراسة مصانعه.. عندما جئت إلى هنا كان «مازن» ابن أربع سنوات تقريبًا.. كانت المشكلات قد بدأت بين «مي» هانم وزوجها الأستاذ

sa7eralkutub.com

«ممدوح».. كنت دائمًا أسمع الصراخ وصوت أشياء تتكسر ثم أجد الأستاذ «ممدوح» ينزل مسرعًا.. منذ أكثر من عام تقريبًا والأستاذ «ممدوح» لا يعيش هنا.. يأتي كل فترة ليرى ابنه ثم يرحل.. سمعت أن هذا الولد مريض لكني لا أعرف ما مرضه.

نظر إليه «كرم» بشكٍّ من دون سبب واضح.. هو يعتقد أن من الذكاء النظر بشك، وسأله:

- متى كانت آخر مرة ظهر فيها «ممدوح»؟

فأجاب الرجل على الفور:

- بالأمس كان هنا، جلس من قبل العصر حتى المغرب ثم رحل.

فعاد «كرم» يسأله:

- ومَن هذا الرجل المقتول؟

فرد الرجل برعب:

- لا أعرفه والله.. لقد أراني البيه الآخر الجثة.. هذا الرجل ظهر مع «مي» هانم منذ شهر تقريبًا.. قالت لي إنه قريبها.. كان يطلع إليها وينزل في وقت متأخر وأحيانًا يبيت عندها.

فسأله «كرم» وهو يغمز بعينه:

- وماذا كانا يفعلان؟

sa7eralkutub.com

فرد عليه الرجل بخجل:

- كيف لي أن أعرف يا بيه؟

فعاد «كرم» يقول له:

- بالطبع صعد إليها ذلك الرجل بعد رحيل زوجها.. بالمناسبة، هل لا تزال على ذمته؟ يعني هل هي زوجته أم طليقته؟

فهز الحارس رأسه كنايه عن عدم معرفته وقال:

- لا أدري والله يا بيه.

فقام «كرم» وقال لـ«سعد» وهو يربت على كتف الحارس:

- حسنًا يا «سعد».. خذه إلى القسم.

فقال الرجل في فزع:

- لكنك قلت...

فقاطعه «كرم» صارخًا بغضب:

- قلت ماذا؟ اخرس واذهب معه بلا أي صوت.

فأذعن الرجل وذهب مع «سعد» الذي سلّمه إلى أمين الشرطة الواقف خارج الشقة ثم عاد إلى «كرم» الذي جلس جوار الطفل وسأله بمودة:

- كيف حالك يا حبيبي؟

لم يبدُ على «مازن» أنه سمعه.. فعاد «كرم» يقول له بصوت مرتفع:

sa7eralkutub.com

- هل رأيت أي شيء بالأمس يا «مازن»؟

نظر إليه الولد نظرة خاوية ولم يرد، فعاد «كرم» يسأله بصوت أعلى كأنه يتحدث إلى أصم:

- هل تسمعني يا بُني؟

ظل الولد كما هو لم يحرك ساكنًا.. فنادى «كرم» على «سعد» الذي جاء وجسده يهتز على الرغم من أنه لم يكن يجري وقال له:

- نعم يا «كرم بيه»؟

فقال له «كرم» وهو يشير إلى الصبي:

- يجب التحفظ على هذا الولد وملابسه وتحليل الدم الذي عليها وأخذ عينة من الدم الذي على يديه.

فهز «سعد» رأسه وهو يقول له بثقة:

- بالتأكيد يا باشا.

هنا قام «مازن» من على كرسيه ودار حول المنضدة القصيرة التي كانت أمامه دورة كاملة قبل أن يقف أمام «كرم» في صمت.. كان «كرم» قد بدأ يساوره الشك في أمر الطفل.. نظر «كرم» حوله باحثًا عن الشيء الذي يتأمله الطفل، لكنه تأكد أنه ينظر إليه هو.. بعد صمت قصير قال له «مازن» بصوت هادئ وجميل:

sa7eralkutub.com

- هل اسمك «كرم»؟

تلفت «كرم» حوله بقلق ثم ابتلع ريقه بصوت مسموع قبل أن يرد بقلق:

- نعم.. هل هناك شيء ما في الاسم؟

فابتسم «مازن» ببراءة وقال باللهجة البريئة نفسها:

- اسمك جميل.

ثم عاد إلى مكانه وجلس في صمت كأن شيئًا لم يكن.

بعد تلك الأحداث كلها هذا ما لفت انتباه «مازن»! قال «كرم» لـ«سعد» بتوتر وهو يقوم من جانب «مازن» الذي عاد إلى مكانه:

- هذا الولد مسؤوليتك من الآن.

ثم نظر من جديد إلى «مازن» فوجده قد عاد إلى سكونه وصمته وهدوئه، ربما تكون تلك الصفات المحببة إلى النفس نفتقدها في معظم الأطفال، لكنها تبعث على الريبة في هذا الطفل، في هذا الموقف بالذات.

sa7eralkutub.com

الـزوج

دخل «كرم» القسم فترك له المأمور مكتبه، لقد اتصل به مدير الأمن وأمره أن يكون في خدمة «كرم» حتى الانتهاء من التحقيق في القضية.. جلس «سعد» مع الطفل في الغرفة المجاورة لغرفة المأمور، التي لها باب داخلي من غرفة المأمور.. لم يمضِ وقت طويل حتى وصل «ممدوح»، زوج القتيلة، ومعه المحامي الخاص بوالده «شاكر بيه».. طرقات على باب غرفة المكتب التي جلس «كرم» بها، دخل على أثرها عسكري أخبره بوصول الزوج فأمرد «كرم» بأن يدعه يدخل على الفور.. كان التوتر ظاهرًا على «ممدوح» على الرغم من محاولته الظهور رابط الجأش، ابتسم «كرم» في خبث وقال له:

- يبدو أن فيك شيئًا لله، لقد كنا ننوي أن نرسل في طلبك.

فرد عليه «ممدوح» بلهجة حاول جاهدًا أن تكون واثقة:

- لقد أتيت مع المحامي.

فقال «كرم» بهدوء:

- لكننا لم نوجّه إليك أي اتهام حتى تطلب المحامي.

رد عليه «ممدوح» بعصبية:

sa7eralkutub.com

- القانون يكفل لي عدم الحديث إلا في وجود المحامي.. أين «مازن»؟ لقد أتيت من أجله.

فسأله «كرم» بالبرود نفسه:

- وكيف عرفت ما حدث؟ هل كنت تمر من هناك مصادفة؟

أجابه «ممدوح» بتوتر:

- لا.. أحد الجيران اتصل بي وأخبرني بما حدث.. جاري هذا يعرف أن «مازن» مريض.. لو سمحت، أين «مازن»؟

فأجابه «كرم» ليحاول تحطيم أعصابه:

- سوف نتحفظ عليه حتى انتهاء التحقيق.. إنه من المشتبه بهم.

صرخ «ممدوح» في وجهه غاضبًا:

- كيف يمكن لطفل أن يفعل مثل هذه الجريمة؟

فسأله «كرم» باللهجة الباردة نفسها:

- ومن تراه فعلها؟ أنا أشك في أحدهم، لكني أنتظر حتى أعرف كيف فعلها.. على العموم هناك بعض الأسئلة التي أريد إجابتها منك وعلى أساسها سوف نرى الطريقة التي سنتحفظ بها على «مازن».

تدخل المحامي محاولًا أن يظهر بمظهر المنقذ أمام «ممدوح»:

- لكن لا يمكنك أن تحتجز الطفل هنا يا سيدي؟

sa7eralkutub.com

نظر «كرم» إلى المحامي باستهزاء وقال له:

- حسنًا، سوف أرسله إلى الإصلاحية.. ما رأيك يا «ممدوح بيد»؟

رد عليه «ممدوح» في استسلام:

- تفضل.. سل عن أي شيء تريد معرفته.

قال «كرم» وهو يقلب في ملف أمامه:

- لقد كانت القتيلة زوجتك حتى قُتلت.

رد عليه «ممدوح» بحزن:

- على الورق فقط.

فاستطرد «كرم»:

- لقد عرفنا هوية الرجل الذي قُتل معها.. إنه «عمرو»، ابن خالتها.. بالطبع عرفت الوضع الذي وجدناهما عليه.

فجأة، انهمرت الدموع من عيني «ممدوح» فعرف «كرم» أنه سوف يعترف.. وبدأ «ممدوح» بسرد حكايته بمنتهى الصراحة.

* * *

لم يكن «عبد الرحيم»، والد «مي»، من كبار رجال الأعمال، بل بدأ حياته صاحب محل صغير للأدوات الكهربائية في شارع «عبد العزيز»، كانت زوجته من أسرة فقيرة، لكن الحال تغيّر بسرعة في سنوات قليلة، لا أحد يعرف كيف تحوّل المحل إلى سلسلة طويلة من المحال، بعد أن كان

sa7eralkutub.com

يشتري جهازًا أو اثنين لبيعهما، بدأ يستورد الأجهزة لحسابه.. حصل على أحد التوكيلات.. ثم أقام مصنعًا للتجميع ثم بدأ يُصنِّع.. هذا كله لم يأخذ الكثير من الوقت؛ لذلك عزا الناس نجاحه إلى بعض العمليات المشبوهة.. لكن لا يوجد أحد معه إثبات على أي شيء.

كان في بداية حياته يقطن في بيت عائلة زوجته؛ لأن زوجته كانت لها شقة به وكان البيت بالقرب من محله.. أخت زوجته لها شقة هي الأخرى في العقار نفسه.. تنشأ قصة حب بين «مي» وابن خالتها «عمرو»، لا أحد يلقي لها بالًا.. جميع الأهالي يعتبرون الحب في تلك الفترة لعب أطفال، حتى بدأ الثراء يظهر على «عبد الرحيم»، وفجأة انتقل بأسرته من هذا الحي الشعبي إلى شقته الجديدة في الحي الراقي.. عادت والدة «عمرو» ووالده بعد أن زارا «عبد الرحيم» لتهنئته بالشقة الجديدة.. كانت والدة «عمرو» - خالة «مي» - على وشك أن تفقد عقلها بسبب ما رأته في شقة أختها.. قالت لزوجها بلهجة حالمة:

- هل رأيت الشقة الجديدة التي اشتراها «عبد الرحيم»؟

فقال الزوج كأنه يحلم هو الآخر:

- لم أكن أعلم بوجود مثل هذه الأماكن في البلد.

فردت الزوجة بذهول:

sa7eralkutub.com

- إنها ملعب كرة.. ليست مجرد شقة.

فقال لها الزوج مؤمنًا على كلامها:

- هل رأيت التحف؟!

فقالت له زوجته:

- رأيت.. ربنا يجعلها من نصيبك يا «عمرو».

فقال لها الزوج بسخرية:

- من هذه التي ستكون من نصيبه؟ الشقة؟

فأجابته الزوجة بثقة:

- لا يا خفيف الظل.. «مي»، ابنة أختي حبيبتي.

رد عليها الزوج بلهجة يائسة:

- لو كان هناك أمل واحد في المائة، فقد ذهب الآن بعدما رأينا الشقة الجديدة.. كيف سيوافق «عبد الرحيم» على زواج ابنته من شحاذ مثل ابنك؟ وبصراحة عنده حق، لو كنت مكانه لم أكن لأوافق.

فقالت الزوجة غاضبة:

- لا تقُلْ مثل هذا الكلام على ولدي.. ابني سيكون معه أفضل شهادة.. سيكون أفضل من الجميع.

ردَّ عليها زوجها بيأس من جديد:

- لن يوافق «عبد الرحيم» على الزواج، أنا أعرفه.

sa7eralkutub.com

فقالت له زوجته وتظهر على ملامحها أعتى درجات الاشمئزاز من كلامه المثبّط للهمم من وجهة نظرها بالطبع:

- اسكت أنت.. لو استطاع «عمرو» التأثير على البنت سوف تجبر والدها على الموافقة.

كانت «مي» في السنة النهائية من المرحلة الثانوية عندما انتقل بها والدها إلى شقتهم الجديدة.. لم يكن أحد يعلم مدى تطور العلاقة بينها وبين «عمرو».. لكنها كانت قد تطورت إلى حد بعيد بين مراهقة في الثانوية العامة وآخر يكبرها بعامين.

* * *

كان المجموع الذي حصلت عليه «مي» في الثانوية مناسبًا لدخولها معهد القطن.. لكن والدها فرح بنجاحها وقال:

- سوف أدخلها جامعة خاصة.. إدارة أعمال.

ردت عليه زوجته:

- لماذا؟ أسمع أن مصاريفها مرتفعة.

قال لها «عبد الرحيم» وهو يهز رأسه في لا مبالاة:

sa7eralkutub.com

- لا يهم، المهم أن تكون معها شهادة عالية من جامعة كبيرة.. والأهم من ذلك أن ترى الناس النظيفة بدلًا من السيد «عمرو» الذي كانت أختك تخطط ليتزوجها.

فتقول له زوجته بوهن:

- والله «عمرو» طيب.

فيرد عليها «عبد الرحيم» في عناد:

- لكنه لن يجد قوت يومه.. وأنا لن أزوجه ابنتي لأنفق عليه.

ردت عليه زوجته وهي توشك على البكاء:

- اعتبره ابنك يا سيدي.

فرد عليها «عبد الرحيم» بفظاظة:

- أنا لست صاحب ملجأ للأيتام.

هكذا وجدت «مي» نفسها في مجتمع جديد.. تعلّمت فيه البذخ.. الإهمال والنجاح السهل.. لكنها بدلًا من أن تنسى «عمرو»، صارت تخرج معه في كل مكان وتنفق عليه من مال والدها.

* * *

جلس «عمرو» على المقهى مع صديقه الصدوق «حسن».. قال له «حسن» وهو يسحب نفسًا من النارجيلة:

- كيف حالك مع ابنة خالتك يا بن المحظوظة؟

sa7eralkutub.com

ردَّ عليه «عمرو» وهو يصنع خمسة بأصابعه:

- الحسد يوقف المراكب السائرة.

فقال له «حسن» بتعجب وهو يضع يده على صدره:

- أنا أحسدك! أنا حتى عيني باردة.

فقال له «عمرو» وهو يدخن النارجيلة هو الآخر:

- أنا علاقتي بها جيدة، لكن والدها لا يطيقني.. هي تريد الزواج بي اليوم قبل الغد، والدها يريدني أن أعمل أولًا.. أعتمد على نفسي والكلام الذي لا يُجدي.. لو عملت طوال حياتي لن أحصل على عُشر ما معه الآن.. الناس كلها تعرف أن ماله من حرام.. لو أعرف الطريق الذي يأتي منه كل ذلك المال لسلكته على الفور.

فسأله «حسن» مستنكرًا:

- وتقبل على نفسك المال الحرام؟

فأجابه «عمرو» بسؤاله:

- ألن تقبله أنت؟

أجابه «حسن» وهو يضحك:

- بالطبع أقبل.. وهل وجدت الحلال ولم آخذه؟!

فضحك «عمرو» وقال له:

sa7eralkutub.com

- لكني لا أعرف كيف أجعل والدها يوافق.

نظر «حسن» إليه طويلًا نظرة ذات مغزى فقال له «عمرو»:

- لماذا تنظر إليّ هكذا؟

فردَّ عليه صاحبه:

- كأنك لا تعرف كيف ترغمه على الموافقة!!

فهز «عمرو» يده في عنف وقال:

- لا.. لا.. إنها ابنة خالتي ولا أرضى لها الفضيحة.

فعاد «حسن» يقول له وهو يغمز بعينه:

- سوف تسترها أنت بعد الفضيحة.. منذ متى هذه الشهامة كلها؟

نفث «عمرو» دخان النارجيلة وقال:

- بصراحة كدت أنجح معها تحت سلم البيت قبل أن ينتقلوا إلى شقتهم الجديدة.. لكن سوء الحظ حال دون ذلك.

فقال له «حسن» بصوت كالفحيح:

- يمكنك أن تستدرجها إلى أي مكان.. خاصة أن المال صار معها بلا حساب.

تأمل «عمرو» دخان النارجيلة الذي أخرجه من فمه وقال له بحزم:

- سوف أحاول.

* * *

sa7eralkutub.com

بالطبع لم يكن «ممدوح» يعرف أي شيء عن تلك التفاصيل، لكن ما كان يعرفه عنها منذ أن رآها في مصنع والدها، الذي كان بينه وبين والده «شاكر بيه» الكثير من الأعمال.. كان شعرها المصبوغ كعادتها والعدسات اللاصقة مع البنطال الضيق قد جعلت منها فتنة تمشي على قدمين.. ما زاد من فتنتها أنها كانت تعامله بلا اكتراث مثله مثل أي عميل.. «ممدوح» وجد من يعامله بلا مبالاة! كان ذلك ما لم يعتَده «ممدوح»، أو يقبل به.

صارت «مي» تراه مصادفة في كل مكان: في النادي.. في المجمع التجاري.. في المطعم القريب من النادي.. لاحظ ذلك الشاب الملازم لها.. كان معها في النادي ذات مرة.. استوقفها «ممدوح» كأنه يريد أن يسلم عليها فقال لها وهو يمد يده نحوها:

- أهلًا يا «مي».. كيف حالك وحال والدك؟

ردت عليه بفتور وكأنها لا ترى يده الممدودة:

- بخير.

سحب «ممدوح» يده وتظاهر أنه كان يطارد ذبابة.. ثم سألها بطريقة سمجة:

- ألن تعرّفينا على الأستاذ؟

أجابته «مي» بالطريقة الباردة نفسها:

sa7eralkutub.com

- «عمرو»، ابن خالتي.

فسلّم عليه «ممدوح» وهو يقول له:

- عضو بالنادي معنا.. أليس كذلك؟

لكن «مي» جرّت «عمرو» من يده وهي تقول:

- بعد إذنك يا أستاذ «ممدوح».

وذهبت مع «عمرو».. ظل «ممدوح» يرمق يد «عمرو» التي كانت مرتاحة في هدوء في كف «مي».. تلك الكف التي لم تمتد لتسلم عليه.. فهم «ممدوح» الرسالة.. كانت رسالة واضحة ولا تحتاج إلى شرح.. لكن المسألة كانت بالنسبة إليه مسألة كرامة.

* * *

- أريد أن أتزوج يا أبي.

ضحك «شاكر» عندما سمع مطلب ابنه، فسأله «ممدوح» بتحفز:

- علامَ تضحك؟

فأجابه والده وهو ما زال يضحك:

- ظننتك لن تفعلها في يوم من الأيام.

فابتسم «ممدوح» وقال له:

- ما رأيك في «مي»؟

فرد عليه والده:

sa7eralkutub.com

- ابنة «عبد الرحيم» صاحب مصانع الأجهزة؟ لا بأس بها، والدها مليونير.. ثروته تزداد باستمرار.. وحيدة ليس لها إخوة.. و«عبد الرحيم» علاقتي به جيدة سيرحّب بالأمر.

فقال له «ممدوح» بلهفة:

- إذًا.. نطلب يدها غدًا.

فسأله والده بدهشة:

- ولمَ العجلة؟

أجابه «ممدوح» بسرعة:

- خير البر عاجله.

لم يكن والده يحب التسرع في أي شيء، خاصة موضوع النسب هذا، لكن «ممدوح» كان مُصرًا.. لم يكن يحبها إلى ذلك الحد.. لم تكن هي، على الرغم من جمالها، جميلة إلى ذلك الحد.. لكنه كان يريد أن يحصل عليها بأي ثمن.

كان اللقاء بمصنع والدها الذي ظهر عليه أنه يرحب بالأمر.. لكنه كأي أب رآه في التلفاز يجب أن يدّعي أنه متردد وسوف يفكر في الأمر.

sa7eralkutub.com

عندما عاد «عبد الرحيم» مع ابنته إلى البيت كانت السعادة تملؤه.. كانت «مي» ستتركه وتدخل غرفتها كعادتها، لكنه استوقفها وأخبرها أنه يريدها في موضوع مهم هي ووالدتها.. عندما جلس ثلاثتهم قال لـ«مي»:

- تعرفين «شاكر بيه»؟

ردت «مي» في ضجر لأنها كانت تريده أن ينتهي من كلامه حتى تدخل غرفتها لتتحدث في هاتفها الخلوي مع «عمرو»:

- نعم أعرفه يا أبي، كان في المصنع اليوم.

فقال لها والدها كأنه يتحدث إلى طفل صغير:

- ومَن الذي كان معه؟ ابنه «ممدوح».. هل تعرفين لماذا كانا في المصنع اليوم؟

فهمت الأم مراد زوجها على الفور، بينما دق الشك أبواب قلب «مي» فسألته بحذر عن سبب زيارتهما التي كانت تظن في البداية أنه العمل.. لكن والدها أخبرها بطلبهما فقالت على الفور دون تفكير:

- بالطبع لا أوافق.

نظر إليها والدها في دهشة وعدم فهم.. ظن أن أذنيه قد أخطأتا السمع فسألها بدهشة:

- ماذا تقولين؟

أجابته «مي» بحزم:

sa7eralkutub.com

- لا أريد الزواج منه.. أنا لا أحبه.

فرد عليها والدها بغضب:

- وتحبين من؟ «عمرو» ابن خالتك، الشحاذ الذي يريد أن يعيش من مالي.. سوف أخبر «شاكر بيه» أني موافق على طلبه.. سوف تتزوجين من ابنه وافقتِ أم أبيتِ.. أنت لا تعرفين مصلحتك.

تركته «مي» وهربت إلى غرفتها وصفعت الباب بقوة خلفها.. ثم هرعت إلى الهاتف لتخبر «عمرو» بما حدث.

سور الكتب
sa7eralkutub.com

لم يخبر «ممدوح» «كرم» بشعوره أنها تزوجته مرغمةً بل قال:

- كان زواجنا تقليديًا، «زواج صالونات» كما يقولون.. رأيتها في مصنع والدها.. أعجبتني.. طلبتها من والدها فوافق.. ربما ترددت هي لأنها كانت لا تعرفني لكنها وافقت في النهاية.. لم أكن أعرف شيئًا عن ابن خالتها هذا.. كانت بداية حياتنا جميلة وهادئة.. نسافر أوروبا.. نخرج كل يوم.. أظنها كانت سعيدة.. أنجبنا «مازن»، وبعد أربع سنوات من ولادته بدأت المشكلات.. لا أعرف هل مرض «مازن» السبب أم هناك شيء آخر.. حاولت إصلاح علاقتنا بكل طريقة دون جدوى.. وصل بنا الحال إلى البقاء زوجين على الورق من أجل الولد ومن أجل المجتمع.. ربما نظهر معًا في

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

الحفلات، لكن كل واحد منا يعود إلى منزله.. لم ترضَ العودة إلى بيت والدها.. ربما لتعيش كما تحب.. صرت أزور «مازن» كل فترة.. أخرج معه مرة.. آتي للغداء معه مرة أخرى، وهكذا.

صمت «ممدوح» كأنه نسي الكلام فجأة.. كان «كرم» يشعر بالملل.. كان يريده أن يعترف وينتهي الأمر.. قال له فجأة:

- لقد زرتهما يوم الجريمة.

فرد عليه «ممدوح»:

- نعم، تغديت مع الولد وجلست معه قليلًا ثم رحلت.

فسأله «كرم» بشك:

- ما الموضوعات التي تكلمت فيها مع «مي»؟

تردد «ممدوح» قبل أن يجيب:

- كلام عادي.

سأله «كرم» بطريقة مفاجئة:

- ألم تطلب الطلاق منك ذلك اليوم؟

سكت «ممدوح» مفكرًا وقال لنفسه: لقد كنت معها بمفردي، والولد لن يتحدث. فقال بلهجة كاذبة:

- لا.. لم نعد نتكلم في هذا الموضوع.

sa7eralkutub.com

نظر إليه «كرم» وكأنه يريد أن يقول له: «يا كذاب!».. لكنه عاد فسأله بهدوء ليحطم أعصابه:

- هل أنت متأكد؟

ابتلع «ممدوح» ريقه وقال:

- نعم.. لم نتحدث في موضوع الطلاق هذا.

فهز «كرم» رأسه كأنه اقتنع وعاد يسأله:

- أين ذهبت بعد أن نزلت من عندها؟

أجابه «ممدوح» بطريقة تجعل المستمع يشك فيه حتى لو كان صادقًا:

- ذهبت إلى المركز التجاري.. قابلت بعض الأصدقاء ثم عدت إلى البيت.

فسأله «كرم» مرة أخرى:

- هل عدت قبل الساعة الرابعة فجرًا؟

فأومأ بالإيجاب.. فعاد «كرم» يسأله:

- إذًا، هل كنت في البيت الساعة الرابعة فجرًا؟

أجابه «ممدوح» بثقة زائدة:

- نعم.

sa7eralkutub.com

فقال له «كرم» وهو يهز كتفيه:

- حسنًا.. طالما كنت بالبيت في ذلك الوقت فقد رآك أي أحد من القاطنين معك بالبيت.

رد عليه «ممدوح» معترضًا:

- الساعة الرابعة! لقد كنت نائمًا.. الجميع كذلك كانوا نائمين.

فأشعل «كرم» لفافة تبغ وهو يقول له:

- حسنًا.. يمكنك الانصراف الآن.. لكن ربما أطلبك مرة أخرى.

فسأله «ممدوح»:

- وماذا عن الولد؟ أين هو؟

فأجابه «كرم»:

- سوف يظل معنا حتى ننتهي من تحليل العينات التي على ملابسه.

فسأله «ممدوح» بغضب معترضًا:

- لكن أين ستحتجزه؟

أجابه «كرم» بهدوء وجدية ليحطم أعصابه:

- ربما ننقله إلى مستشفى الأمراض العقلية؛ يبدو أنه مصاب بصدمة عصبية.

كان يريد تحطيم الرجل لأن الشك يملؤه منه.. ثار «ممدوح»، لكن المحامي أمسكه وقال لـ«كرم»:

sa7eralkutub.com

- أنت لا تفهم أي شيء.. الولد مريض.. يجب نقله إلى مكان مناسب.

رد «كرم» على المحامي بطريقة مستفزة:

- ومستشفى الأمراض العقلية مكان مناسب.

فأمسك المحامي «ممدوح» من يده وتوجه نحو الباب وهو يقول له:

- هيا بنا يا «ممدوح بيه».. سوف أتصرف.

وهمّا بالانصراف، لكن «كرم» استوقف «ممدوح» وقال له:

- وقّع أولًا على المحضر.

وقع «ممدوح» وهو يرمقه بنظرة نارية، ثم خرج مع المحامي.. بعد أن خرجا مباشرة توجّه «كرم» بسرعة للباب الموجود بين غرفة المأمور التي كان بها والغرفة المجاورة، ففتحه ليدخل الغرفة؛ حيث كان «سعد» يجلس مع الطفل.. قال «كرم» لـ«سعد» دون أن ينظر إلى الطفل:

- كيف حال هذا الولد الغريبَ؟

فأجابه «سعد» بحيرة:

- كما ترى لم يتحرك منذ أن تركته.

فعاد «كرم» يسأله:

- هل أخذوا العينات من ملابسه؟

sa7eralkutub.com

أومأ بالإيجاب، فاستطرد «كرم»:

- اطلب من والده أن يُحضر له ملابس نظيفة وتحفَّظ على ملابسه.

رن هاتفه الشخصي.. نظر «كرم» إلى الهاتف.. رقم سري.. لا تظهر أمامه أرقام على الشاشة.. أصحاب تلك الأرقام وراءهم مصائب.. كان «سعد» يسمع «كرم» فقط الذي قال:

- ألو.. معك يا أفندم.. لكن سيادتك.. لا.. لا.. حسنًا.. تحت أمرك، سوف أنقله الآن.

ثم أغلق الخط.. سأله «سعد»:

- هل المكالمة لها علاقة بالقضية؟

زفر «كرم» في ضيق وقال له:

- مساعد الوزير يريدني أن أنقل الطفل إلى مصحة الدكتور «عبد المحسن» للطب النفسي وأن أترك مخبرَين على الأقل لحراسته حتى انتهاء القضية.

فقال له «سعد» محاولًا تهدئته:

- على العموم، المصحة قريبة من القسم ومسرح الجريمة.. فما الذي يضايقك؟

أجابه «كرم» بالضيق نفسه:

- بالتأكيد سبب تلك المكالمة اتصالات السيد «ممدوح».. كنتُ أريد أن أحتفظ بالولد حتى يكون ورقة ضغط على والده.

sa7eralkutub.com

فقال له «سعد» معترضًا:

- لكن ذلك لا يجوز يا سيدي!

ابتسم «كرم» باستهزاء وقال له:

- لو سرنا مع الذي يجوز فلن نحل أي قضية.

ثم نظر إلى الطفل الذي كان ينظر إلى سقف الغرفة، فجأة أمسك الطفل بيده.. انتفض «كرم» وكاد يقع على الأرض.. قال له «مازن» وهو ما زال شاردًا في السقف:

- «كرم»؟

ابتلع «كرم» ريقه بصعوبة وهو يقول له:

- نعم.

ابتسم «مازن» فجأة وهو يقول له دون أن ينظر إليه:

- اسمك جميل.

ثم عاد إلى سكونه كأن شيئًا لم يكن.

نظر إليه «كرم» بغيظ.. لكنه لا يعرف لماذا تحوّل غضبه إلى خوف عندما نظر إليه «مازن» فجأة..

كان ينظر إليه بطريقة جمّدت الدماء في عروقه.

sa7eralkutub.com

توحُّد

وصلت سيارة الشرطة التي يقودها «كرم» ويجلس خلفه «سعد» والطفل إلى المصحة، عرض عليه «سعد» أن يقود هو السيارة لكنه لم يكن يريد الجلوس بجانب «مازن».

خلف تلك السيارة، كانت هناك سيارة أخرى يركب فيها سائق ومخبران، ثم سيارة «ممدوح» ومعه المحامي.

كانت المصحة عبارة عن فيلا قديمة حوّلها الدكتور «عبد المحسن» لذلك المشروع الذي يعود عليه بربح عظيم؛ فيوم العلاج في هذه المصحة له ثمن، والثمن هنا باهظ، السرية كذلك لها ثمن، لكن ثمنها أكبر بكثير من العلاج نفسه، معظم من يدخلون هنا شخصيات عامة ومهمة تعرضت لضغوط نفسية لم يتحملها جهازهم العصبي، ولم يكن من الجيد بالنسبة إليهم أن يُعرف عنهم وجودهم في مثل ذلك المكان.

دخل «كرم»، يتبعه «سعد» ممسكًا بيد «مازن»، ومن خلفهم والده ورجال الشرطة.. كان من الواضح أن الإدارة عندها علم بوصول «مازن» وكذلك عندهم خلفية عن القضية.. هناك جو من التوتر العام في المصحة،

sa7eralkutub.com

وقد أعجب ذلك «كرم».. يحب أن يُشعر الآخرين بالتوتر ويشعر هو بالاهتمام.. جلس «كرم» و«سعد» مع الطفل في غرفة حتى يتم تجهيز غرفة الطفل.. لكن عندما تأخروا عليه.. خرج «كرم» في الرواق؛ حيث كان «ممدوح» ينتظر.. كانت هناك ممرضة هي المسئولة عن تجهيز الغرفة.. رآها «كرم» تروح وتجيء بسرعة لتنتهي من تجهيز الغرفة، فصرخ فيها أن تسرع، وبدأ في توبيخها والتعجب من التسيّب الموجود في المصحة، عندها سمع صوتًا هادئًا من خلفه يقول له:

- الصراخ ممنوع هنا من فضلك.

التفت «كرم» إلى صاحبة الصوت وكان ينوي أن يُسمعها قصيدة من الكلمات النابية تفتقر إلى الأدب.. لكنه عندما رآها تسمّر في مكانه للحظات ولم يتكلم.. فغر فاه في بلاهة وقال لنفسه:

- لماذا لا تأتي فردة الحذاء التي بالبيت لترى ذلك الجمال الجميل؟!

أخرجه صوتها المتسائل من تخيلاته:

- هل حضرتك المقدم «كرم»؟

ردَّ عليها «كرم» بلهجة حالمة خرجت رغمًا عنه رقيقة لا تتناسب مع شكله أو وظيفته أو القضية:

- نعم أنا «كرم».. مَن حضرتك؟

sa7eralkutub.com

كانت شابة شديدة البياض، بحمرة خفيفة من دون مساحيق.. اللاتي يضعن المساحيق لا تبدو بشرتهن بيضاء، بل يصبحن أقرب إلى مصاصي الدماء.. لكن ذلك البياض كان له شكل آخر، كان بياضًا طبيعيًا صافيًا، عيناها كما يقولون بلون السماء الصافية، ليست السماء الملوثة التي نعرفها.. ربما سماء غابة بكر لم يصل إليها الإنسان بعدُ.. رقيقة وأنيقة.. ترتدي طرحة صغيرة تربطها على شكل الكعكة في نهاية رأسها.. كانت جميلة بطريقة تعجز الكلمات عن وصفها.. كأن هناك من يحاول أن يصف لك جمال لوحة لم ترها أو سيمفونية لم تسمعها.. قالت له بصوت جميل هادئ رقيق:

- أنا دكتورة «جمالات».. الطبيبة المتابعة لحالة «مازن».

تذكر «كرم» فورًا مشهد فيلم «الخطايا».. عندما عرف «عبد الحليم» أنه لقيط، وسار في الطريق المظلم الطويل.. أصابه اسمها بصدمة نفسية، كان سيطلب منها أن تحجز له غرفة بجانب غرفة الطفل.. بعد كل هذه الأحلام والآمال يتضح أنها «جمالات».. حسبي الله ونعم الوكيل في مَن أطلق عليها هذا الاسم!!

- أستاذ «كرم».. هل هناك خطب ما؟

كان «كرم» قد أوشك على تأليف قصيدة في هجاء من أطلق عليها هذا الاسم مع أنه لم يقرأ الشعر من قبل.. رد عليها متلعثمًا:

sa7eralkutub.com

- لا.. لا شيء.. إحم.. أريد أن أعرف بعض المعلومات عن هذا الطفل.. ربما كان هو الشاهد الوحيد على جريمة قتل.

قالت له «الطبيبة» وهي تشير إليه أن يتبعها:

- تفضل في مكتب المدير.. الدكتور «عبد المحسن» في انتظارك.. سوف يشرح لك كل شيء.

فقال لها «كرم»:

- تفضلي أنت.. سوف أذهب إليه بعد فعل شيء ما.

هزّت الطبيبة رأسها واختفت عن الرواق.. ذهب «كرم» ووقف أمام «ممدوح» الذي كان ينتظر بالرواق.. لحظات من نظرات التحدي جمعت بينهما قبل أن يقول له «كرم» بمودة مفاجئة:

- سوف أتركك تجلس مع ابنك على انفراد حتى أنتهي من الحديث مع مدير المستشفى.

شكره «ممدوح» بامتنان ولم يصدق ما سمعه.. كان المحامي يقف بجانبه واعتقد أن المكالمة التي وصلت إلى «كرم» هي سبب ذلك التحول، لكن الأمر لم يكن كذلك؛ فبعد أن دخل «ممدوح» وخرج «سعد» من الغرفة قال «كرم» للمخبرين:

- أريدكما أن تسمعا كل ما سيدور بينهما.

sa7eralkutub.com

كان يريده أن يتكلم مع ابنه في أريحية تامة.. سأل «كرم» بعد ذلك أحد العاملين عن مكان غرفة المدير فوصف له مكانها الذي لم يكن بعيدًا.. بعد خطوات قليلة وقف على باب الغرفة المكتوب عليها المدير فدق الباب دقة واحدة ثم دخل على الفور.. رمقه دكتور «عبد المحسن» بنظرة نارية لأنه تجرأ ودخل دون استئذان فقال له بلهجة حادة:

- نعم يا أستاذ؟ هل يوجد أحد يدخل هكذا من دون استئذان؟

كان يبدو في منتصف العقد السادس من العمر.. أشيب.. ممتلئًا قليلًا.. يرتدي عوينات بالطبع، معظم الأطباء يرتدون العوينات، فما بالك بطبيب نفسي وفي العقد السادس؟! من خلفه كانت هناك صورة اعتبرها «كرم» لأفضل مريض بالمصحة أو مريض العام أو المجنون المثالي.. لم يكن يعرف أنها صورة «سيجموند فرويد».. قال للطبيب بثقة وهو يجلس على الكرسي الموجود أمام المكتب:

- لو كنت لا تريد أن يدخل عليك الناس هكذا فلتغلق الباب بالمفتاح أو تؤجر سكرتيرة.. مصحة طويلة عريضة وليس للمدير سكرتيرة.. سوف يتهمونك بالبخل.

ابتسم الطبيب وقال له بسخرية مماثلة:

- إما إنك مجنون جديد وظريف وإما أنك المقدم «كرم».

sa7eralkutub.com

ابتسم «كرم» ابتسامة باهتة، فقد أفسد ذلك الرجل المفاجأة عليه وقال له:

- يبدو أنك شديد الذكاء كما يقولون عن الأطباء النفسيين.

ضحك الطبيب وقال له وهو يهز رأسه بتواضع:

- مدير الأمن اتصل بي وأخبرني بأبعاد الموقف وقال إنك ستأتي مع الطفل.. أنا طبيب نفسي وأعرف جيدًا نفسية أمثالك.. كنت تعتقد أنك ستدهشني بطريقتك.. نصيحة، لا تلعب ألعابك النفسية هذه مع مَن له دراية بالطب النفسي.

شعر «كرم» كأنه استحم من الصنبور مباشرة دون وجود سخان مياه في شهر يناير في شقة بالإسكندرية.. ابتلع إهانة الرجل وحاول أن يغيّر الموضوع فقال له بجدية:

- أريد أن أعرف بعض المعلومات عن الطفل.

اكتست ملامح الطبيب بالجدية وقال له:

- لو كنت تريد أن أعطيك نظرة عامة فيمكنني أن أخبرك.. لو كنت تريد أن تعرف التفاصيل انتظر الطبيبة المتابعة لحالته.. دكتورة «جمالات».

sa7eralkutub.com

لماذا تذكّرني بالاسم؟! سوف أدعوها الدكتورة «جي» على طريقة الأمريكان.. قال له «كرم»:

- يمكنك أن تخبرني بما تعرف حتى تأتي الطبيبة.

فقال له الطبيب متسائلًا:

- دكتورة «جمالات»؟

رد عليه «كرم» متذمرًا:

- نعم.. نعم يا سيدي.. دكتورة «جمالات».

فقال له المدير بلهجة مؤكدة:

- أنا فقط أؤكد الاسم حتى إذا احتجت أي شيء وكنت أنا غير موجود أسأل عنها.

رد عليه «كرم» وهو يوشك على البكاء:

- والله حفظت الاسم.. هذا اسم لا يُنسى.

سكت المدير قليلًا ثم بدأ في الكلام بطريقة مسرحية جعلت «كرم» يتخيّل أن الإضاءة أصبحت خافتة، خاصة مع همس المدير الذي يوحي بالأهمية.. قال له:

- حسنًا.. بدايةً، «مازن» مصاب بمرض نفسي اسمه التوحّد.. وقبل أن تسأل سوف أحاول أن أبسط لك الأمر.. التوحّد مرض يصيب الأطفال عادة في السنوات الثلاث الأولى ويستمر معهم مدى الحياة.. قد يحدث

sa7eralkutub.com

بعض التحسن مع العلاج. يؤثر التوحّد على مهارات التواصل والحياة الاجتماعية، وتكون هناك صعوبة في التواصل غير اللفظي وكذلك صعوبات في الترفيه لصعوبة التواصل مع الآخرين.. يُظهر المصابون بهذا المرض سلوكًا متكررًا بصورة غير طبيعية.. مشكلته أنه يكون على طرفي نقيض.. إما أن يكون شديد الحساسية للأشياء وإما أن يكون أقل حساسية من المعتاد.. في حالة «مازن» لا أعرف بالضبط نوع الاضطراب الذي ظهر عليه حتى يفكر أهله في عرضه على طبيب نفسي.. لكن...

قاطعه صوت طرقات رتيبة على الباب فسمح لصاحبتها بالدخول.. كانت الطبيبة التي لا يريد «كرم» أن يذكر اسمها.. دخلت وجلست على الكرسي أمام «كرم» فقال «عبد المحسن» وهو متهلل الأسارير ويشير إليها:

- حسنًا، لقد وصلت دكتورة «جمالات».. سوف تشرح لنا طبيعة حالة «مازن».

اعتدلت «جمالات» في جلستها وقالت وهي تنظر لـ«كرم» لأنها تعرف أنه المعني بكلامها:

- بدايةً، التوحّد هو مرض نفسي...

قاطعها «كرم» بملل قائلًا لها وهو يرفع كفه نحوها:

sa7eralkutub.com

- سمعت هذه المحاضرة منذ قليل.. أريدك أن تكلميني عن الطفل.

لم تفهم «جمالات» ماذا يقصد.. فقال لها «عبد المحسن»:

- لقد شرحت له للتو نظرة عامة عن المرض.. نريدك أن تخبرينا عن «مازن» بالخصوص.

هزت رأسها في فهم وقالت:

- لقد لوحظ على «مازن»، وهو في سن الرابعة، أنه يتكلم بصعوبة.. عندها ذهبوا به إلى طبيب تخاطب.. وبعد عدة جلسات طلب منهم عرضه على طبيب أمراض نفسية.. «مازن» مصاب بالتوحّد.. يحب العزلة على الرغم من أن والدته قالت لي إنه كان يكره الجلوس بمفرده.. لكن فجأة ظهرت عليه علامات التوحّد.. أحيانًا يقوم بردود فعل عنيفة بلا مبرر.

فقال لها «كرم» وكأنه قد أمسك أول الخيط:

- إذًا يمكنه أن يقتل؟

فردت «جمالات» على الفور:

- ليس إلى هذا الحد.. عندما يقتل الطفل يجب أن يكون قد وصل إلى حالة نفسية خاصة وضغط نفسي شديد.. المرض عند «مازن» أخذ شكل قلة الحركة مع نوبات من الغضب غير المبرر.

فعاد «كرم» يقول بلهجة متسائلة:

sa7eralkutub.com

- هذا الغضب يصل لدرجة القتل؟

ابتسمت «جمالات» رغمًا عنها وقالت له:

- أنت مُصرّ على فكرة معينة.. كيف لم تشعر به والدته؟! لو أراد قتلها وهو في حالة هياج كانت على الأقل ستستيقظ..

فرد عليها «كرم» وهو يفكر:

- أنا لست مُصرًا على فكرة معينة، لكني أضع كل الاحتمالات.

فقالت له «جمالات»:

- على العموم، سوف تكشف لنا الأيام المقبلة عن طبيعة الأزمة التي مرّ بها الولد.. فردُ فعله للجريمة ليس طبيعيًا.. ربما كان تحت تأثير صدمة رؤية والدته في هذا الوضع.. كنت أريد أنا أن أسألك عن بعض التفاصيل.

سألته عن «مي».. لم تكن تعلم أنها قُتلت مع عشيقها؛ لذلك اندهشت عندما عرفت التفاصيل وقالت وقد بدا عليها التفكير:

- ما حدث سوف يؤثر سلبًا على الولد.

قال لها «كرم» محذرًا:

- بالطبع أنتِ لستِ في حاجة إلى أن أقول لك إن النشر ممنوع في هذه القضية.

ردت عليه «جمالات» بكبرياء الفرسان وهي ترفع أنفها:

sa7eralkutub.com

- شرف المهنة يحتّم عليّ المحافظة على أسرار المرضى.

كاد «عبد المحسن» يبكي ويصفّق لتلميذته النجيبة، بينما نظر إليها «كرم» في عدم اكتراث.. كان يشك في كل من يتحدث عن الشرف.. كل المجرمين يتحدثون عن الشرف.. نظر إليها في شك ثم قال:

- حسنًا، سوف ألقي نظرة عليه قبل أن أرحل.

ذهب «كرم» إلى الغرفة التي أعدت لـ«مازن» بالمصحة.. كان «ممدوح» لا يزال جالسًا معه.. وقف «كرم» على باب الغرفة وقال له:

- أستاذ «ممدوح».. هيا بنا.

احتضن «ممدوح» الطفل وقال له:

- سوف أتركك الآن وسوف آتي قريبًا لزيارتك.. اسمع كلام صديقتك «جمالات».

نظر «كرم» إلى الطفل وقال لنفسه: «ما دام عرف اسمها فلن يتحسن».. لم يبدُ على الطفل أي رد فعل لكلام والده، ظل ممسكًا بلعبة في يده على شكل دب أصفر.. شكر «ممدوح» «كرم» وخرج دون أن يلتفت.. سأل «كرم» المخبرين بلهفة فور خروج «ممدوح»:

- هل سمعتما ما دار بينهما؟

تلفّت المخبران حولهما ثم قال أحدهما بصوت منخفض:

- نعم، لقد سمعنا كل شيء.

sa7eralkutub.com

فسأله «كرم» باهتمام:

- ماذا قالا؟

ردَّ المخبر هامسًا بعد أن تلفَّت حوله مرة أخرى:

- لا شيء.. ظل الأب يتكلم معه ويقول له: العب مع فلانة وكل جيدًا، وهو لا يرد كأنه لا يسمع.

فقال له «كرم» غاضبًا:

- ولماذا تخفض صوتك كأنك ستقول شيئًا مهمًا؟! لو دخلت غرفة الغرفة دون أن تكتباها في التقرير سوف أجعل أيامكما سوداء يا...

انتفض «كرم» فجأة وكاد يقع على الأرض عندما شاهد نظرة الدهشة في عين المخبر وأحس بيد تمسك بيده، التفت ليجد «مازن» يمسك بيده ويسأله بود مفاجئ:

- هل أنت عمو «كرم»؟

رد «كرم» بقلق بعد أن تردد وقد كره اسمه:

- لا، أنا لست «كرم».

فقال له «مازن» بابتسامة:

- اسمك جميل.

فقال له «كرم» معترضًا:

sa7eralkutub.com

- لكني قلت لك أنا لست «كرم».

لكن «مازن» كان قد عاد إلى لعبته التي كان يلعب بها.. فكّر «كرم» وهو ينظر إلى الطفل بغضب.. سوف أغيّر اسمي بسبب هذا الطفل حتى لو حوّلته إلى «جمالات».. لا أظنه سيقول إنه اسم جميل بطريقته المرعبة هذه.

* * *

عندما وصل «كرم» إلى البيت كان الوقت متأخراً.. الحادية عشرة ربما ليست وقتاً متأخراً عند معظم الناس، لكنها كذلك بالنسبة لزوجته.

العاشرة مساءً نهاية اليوم بالنسبة إليها.. الجميع في السرير.. هي في غرفة نومها.. الولد في غرفة الأطفال.. البنت في السرير المجاور للولد.. يدخل على مهل حتى لا يوقظ أحداً، بالأخص زوجته «نسمة» التي لو أيقظها فسوف تكون «عاصفة».. سوف يسمع محاضرة عن فوائد النوم مبكراً وعن الخطر الداهم الذي يتعرض له من يستيقظ قبل أن يُكمل فترة نومه.

يفتح باب غرفة ابنه ليلقي عليه نظرة دون أن يوقظه.. كذلك يفعل مع ابنته، ثم يدخل غرفة نومه.. يُذكّره الأمر بألعاب الحاسوب.. هذا هو وحش المرحلة الأخيرة.. عليه أن يغيّر ملابسه دون أن يستيقظ الوحش.. أو سيقوم الوحش ليمسح به أرضية الغرفة.

sa7eralkutub.com

بدّل «كرم» ملابسه في سلام واندس في الغطاء.. سوف ينام حتى الصباح.. هذه القضية سوف تنتهي بمجرد وصول تقرير المعمل الجنائي.. المقص أداة الجريمة.. بصمات القاتل عليه، لكن من قال ذلك؟ كل القتلة هذه الأيام يرتدون القفازات.. لن نجد بصمات على المقص.. الزوج هو القاتل.. أنا متأكد من ذلك.. غطيط «نسمة» مثل عاصفة الصحراء.. لن أنام وصوت العربة المقلوبة هذه إلى جواري.

ظلّ ساعة كاملة على هذا الحال.. تخطت الساعة الثانية عشرة عندما غلبه النعاس.. ظل طوال ساعات نومه يحلم بالقتيلة.. المقص.. دماء في كل مكان.. ترى ما سبب ذلك القطع العرضي في جانب جثة القتيلة؟ «مازن» ينظر إليه في ثبات.. يبتسم في ثقة.. اسمك جميل.. لعن اسمه وكرهه بسبب هذا الطفل.

عقارب الساعة الفسفورية تشير إلى الرابعة فجراً.. الوقت الذي حدثت فيه الجريمة.. ما الذي أيقظه في ذلك الوقت؟ لماذا يقف «سامح» ابنه بجانب الفراش؟ لماذا يمسك بالمقص؟

- اسمك جميل.

طار «كرم» من فوق الفراش وطار معه الغطاء.. أضاء ضوء الغرفة.. لم يكترث لزوجته التي استيقظت في فزع تسأله عن سبب ما يفعله.

sa7eralkutub.com

هل كان نائمًا واستيقظ؟ ذلك الطفل لم يكن «سامح».. لقد كان «مازن».. هو متأكد من ذلك.. يبدو أنه كان نائمًا.. بالتأكيد كان ذلك مجرد حلم.. من غير المنطقي ما رآه.. لكنه كان حقيقيًا بدرجة لا تُصدَّق.. على العموم مكالمة مع المخبر لن تضر.. صوت المخبر الناعس يرد عليه، فيسأله «كرم» بحدة:

- هل كنت نائمًا؟

بالطبع كان نائمًا، لكنه يرد بالنفي:

- لا يا بيه، أنا مستيقظ.

عاد «كرم» يسأله:

- هل ترى الولد؟

أجابه المخبر بثقة:

- إنه نائم في غرفته.

فقال له «كرم» بلهجة حازمة من جديد:

- افتح الغرفة وتأكَّد.

يسمع صوت المخبر بعد لحظات:

- في غرفته يا بيه والله العظيم.

sa7eralkutub.com

يفكر «كرم» بعد أن يُغلق الخط.. يالسخافتي! يبدو أنني أرهقت نفسي أكثر من اللازم.. الساعة الآن الرابعة وخمس دقائق، يجب أن أنام، فيسمع صوت زوجته يسأله بغضب:

- ماذا حدث يا «كرم»؟

سألته زوجته بعنف فرد عليها وهو يعود إلى الفراش ويغطي رأسه:

- لا شيء.. مشكلة في العمل.

فقالت له بسخط:

سلطان الكتب
sa7eralkutub.com

- وهل يجب أن أدفع ثمن مشكلاتك في العمل؟ أنت تعرف أنني عندما أقلق لا أستطيع النوم مرة أخرى.

لم يرد «كرم» عليها؛ لأنه كان قد أطفأ النور ونام باستمتاع؛ لأنه أقلقها.. والأجمل أنها ربما لن تنام مرة أخرى.

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

معلومات جديدة

لم يستيقظ «كرم» مبكرًا كعادته، بل ظل نائمًا حتى الظهيرة.. كانت عطلة الصيف؛ لذلك فـ«سامح» وأخته بالبيت.. كانت أمهما توقظهما مبكرًا حتى في أيام العطلات.. قام «كرم» مشوش الفكر يتخبط من أثر الذي اعتبره حلمًا مفزعًا بالأمس.. فاتجه مباشرة نحو الحمام ووضع رأسه تحت صنبور الماء ثم لفه بالمنشفة وبدأ في تجفيفه.. عندما أزاح المنشفة وهو خارج من الحمام قابله ذلك الوجه الغاضب.. كيف يسمونها «نسمة» وذلك الغزال الهادئ في المصحة يطلقون عليه «جمالات»؟! ربما تكون هذه الحياة غير عادلة أو منطقية، من الذي قال أنها كذلك؟ قالت له زوجته في غضب وهي تسير وراءه وهو ذاهب إلى غرفة النوم مرة أخرى:

- ما الذي فعلته بالأمس؟

أجابها ببرود؛ لأنه يعرف أن العاصفة قادمة لا محالة:

- لقد رأيت كابوسًا.. يبدو أن الجو العام صار مناسبًا للكوابيس.

فعادت تسأله بحدَّة:

sa7eralkutub.com

- وهل كان يجب أن تضيء الغرفة وتقوم بعمل مكالمة هاتفية بعد الكابوس؟! لقد أيقظتني وأنت تعلم أنني عندما أستيقظ لا أستطيع النوم مرة أخرى.

كلام الأمس نفسه.. تكمل الحديث كأنهما ما زالا بالأمس.. قال لنفسه عندما عرف أنه أقلق نومها: ذلك أفضل، حتى أستطيع أنا النوم.. رد عليها باللهجة الباردة نفسها:

- المكالمة كانت من أجل العمل.. قضية مهمة أقوم على حلها.

فعادت توبّخه من جديد:

- وهل يجب أن تأتي بالعمل للمنزل؟

فقال لها حتى يُخرسها:

- والدك هو من أرسلني في هذه القضية.. إنه لا يثق بأحد غيري.. لقد كلفه الوزير شخصيًا بمتابعتها.

كانت «نسمة» ابنة مدير الأمن.. عندما تزوجها «كرم» لم يكُن والدها قد وصل إلى هذا المنصب، لكنه كان قد أصبح عميدًا وكان من المتوقَّع أن يحصل على هذا المنصب ولو بعد سنوات لاجتهاده ورضا الوزارة عنه.. كان «كرم» يعتبره مثله الأعلى وطريقه للنجاح والترقي، وقد كان كذلك بالفعل.. لكنه دفع الثمن غاليًا بزواجه من «نسمة».. وعندما

sa7eralkutub.com

تزوّجها واقترب منه شخصيًا تغيرت نظرته للجميع.. سألته زوجته باستهزاء:

- وما هذه القضية؟

أجابها «كرم» بسعادة، لأنه نجح في أن ينسيها الموضوع الأساسي الذي كانت تتحدث فيه:

- هذه القضية التحقيقات فيها سرية والنشر ممنوع، وأنت ثرثارة لن تتوقفي عن الكلام عنها.. أين الولدان؟

مطت شفتيها بعدم اقتناع وقالت:

- في الخارج.. لقد أرسل أبي السيارة لتأخذنا إلى النادي.

فردَّ عليها «كرم» بلهجة متسائلة:

- حسنًا.. سوف تتغدين هناك؟

فأجابته بتلقائية:

- طبعًا.. ألن تأتي معنا؟

كانت تسأله من باب قضاء الواجب لأنها تعرف جيدًا شغله فأجابها:

- إذا انتهيت من العمل وأنتم ما زلتم هناك فسوف آتي إليكم.

قالت باقتضاب:

- لو فعلتها سوف يفرح الطفلان.. أنت لم تخرج معهما منذ زمن.

لم تذكر أي رغبة شخصية لها في حضوره، فأومأ برأسه في فتور وقال:

sa7eralkutub.com

- سوف أحاول.. أريد أن أسلم عليهما قبل أن تخرجوا.

خرج من الغرفة ليجد الطفلين واقفين عند باب الشقة يرتديان الملابس الرياضية والحذاء الرياضي الخفيف كذلك وقبعتين للحماية من الشمس.. كان من الصعب أن يراهما أي شخص ولا يعرف أنهما في طريقهما إلى النادي.. كانا يقفان في سكون في انتظار أوامر الأم.. كانت تعاملهما كأنهما جنديان وهي قائد الكتيبة.. لكنها قائد روتيني.. قاسٍ.. لا يعرف غير المفروض.. وكان من المفروض أن الطفلين سيذهبان للنادي لكي يلعبا ويمرحا وسط الحدائق الغنّاء في فرح وحبور وتلك الأشياء التي يشعر بها الأطفال.. لكن النادي تحوله والدتهما لمكان للتدريبات القاسية.. حتى مدربهما يطلب منها الرفق بهما.

جلس «كرم» على ركبتيه ليقبلهما وهو يقول:

- كيف حالك يا «سامح»؟ كيف حالك يا «هدى»؟

فاحتضناه وهما يقولان بسعادة:

- الحمد لله.

لا يدري «كرم» لماذا تذكر حادث الفجر.. نظر لـ«سامح» وهو يقول له:

- هل نمت جيدًا بالأمس؟

sa7eralkutub.com

فرد الولد وهو يبتسم:

- نعم.

«سامح» في مثل عمر «مازن».. لم يلاحظ الشبه بينهما غير الآن.. ذلك الولد في المصحة سوف يقوده إلى الجنون.. هل هو حقًا يشبه «سامح» أم مجرد أوهام؟ عاد يقول لـ«سامح» بشك:

- ألم تستيقظ بالأمس؟

كانت زوجته قد وصلت، فردَّت هي نيابة عن الولد:

- لقد تعوّد أن يدخل إلى السرير فلا يقوم حتى الصباح.

لم يلتفت «كرم» إليها، بل عاد يسأل الولد:

- هل أنت متأكد أنك لم تستيقظ عند الفجر؟

فرد عليه «سامح» بعد تردد:

- أنا أنام فلا أقوم من السرير حتى الصباح.

هذا الولد يبدو عليه الخوف من والدته.. أمسكت «نسمة» بالطفلين وهي تقول له:

- سوف أجلس بالسيارة وأرسل السائق أو البواب ليحمل حقيبتي وحقيبة الولدين.

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها..

sa7eralkutub.com

عاد «كرم» إلى غرفته ليرتدي ثيابه ويذهب إلى عمله.. بعد قليل دق جرس الباب.. بالتأكيد الطارق هو من أرسلته زوجته ليأخذ الحقائب.. يخرج وهو يرتدي الفانلة الداخلية.. ينظر من العين السحرية.. لا يجد أحدًا.. يفتح الباب.. لا يوجد أحد.. ذلك الظل يظهر أن هناك أحدًا عند الدرَج، ينادي «كرم» بصوت مرتفع:

- عم «شحاتة»؟

يظهر البواب الذي كان يقف عند الدرج.. فيقول له «كرم» وهو يكتم غيظه:

- ألن تكف عن هذه العادة؟ تدق الجرس وتجري بعيدًا مثل الأطفال.

فرد الرجل ضعيف السمع بصوت عالٍ:

- لا يا بيه، أنا لا أقصد.. أنا فقط لا أريد أن أجرح الشقة.. فقد يكون هناك أحد يمدد أو جالسًا براحته.. حضرتك تعلم أننا في الصيف.

فقال له «كرم» بتهكُّم:

- وحضرتك تعلم أنني بمفردي.

فسأله البواب بدهشة:

- وكيف أعلم أنك بمفردك؟!

sa7eralkutub.com

فعاد يقول له «كرم» بضجر:

- ألم ترسلك زوجتي لتحمل الحقائب؟

فأجابه الرجل:

- أنا لم أرَها اليوم.

لم ترَها؟! أين ذهبت؟ والولدان؟ انطلق إلى الداخل يبحث عن هاتفه.. طلب رقم زوجته.. لا ترد، مرة ثانية.. لا ترد.. يالمصيبة! أين ذهبت؟! كيف تبخرت بهذه السرعة؟ لو كانت بمفردها ربما كان قد رضي بالأمر.. لكن الولدين معها.. عاد إلى البواب الذي لا يزال واقفًا عند باب الشقة.. يرتدي «الشبشب» لينزل للبحث عنهم وهو لا يزال يمسك بالهاتف على أذنه فيسمع صوتها يرد فجأة عليه:

- ألو يا «كرم».

صرخ فيها بغضب:

- أين أنتِ؟ لماذا لا تجيبين على الهاتف؟

ردت ببرود ودهشة بسبب انفعاله الذي تجده بلا مبرر:

- لقد كان الهاتف على الوضع الصامت.. لم أسمعه.

عاد يسألها بالغضب نفسه:

- أين أنتِ؟

ردت عليه ساخرة:

sa7eralkutub.com

- أين سأكون يا تُرى؟ في المرآب مثلًا؟ السائق يمسح السيارة، عندما ينتهي سوف أرسله إليك.

فسألها «كرم» وهو يحاول أن يمسك أعصابه:

- ألم تقابلي «شحاتة» البواب؟

أجابته في ملل:

- لا، لم أجده.. إنه دائمًا غير موجود ويقوم بعمل شيء ما.

فقال لها «كرم» وهو ينظر إلى «شحاتة» الذي لا يفهم أي شيء:

- لكنه أمامي الآن.

فقالت له «نسمة» بسخرية:

- حسنًا.. لماذا لا تقدم له الإفطار؟!

ثم أضافت بجدية مفاجئة:

- أرسل الحقائب معه حتى نذهب الآن.. لقد تأخرنا.

فرد عليها «كرم» بسرعة ليتخلص منها:

- حسنًا.. حسنًا.. مع السلامة.

أغلق «كرم» الهاتف وسأل البواب:

- لماذا أتيت إذًا؟

أجابه البواب وهو يُخرج ورقة من جيب جلبابه الداخلي:

sa7eralkutub.com

- أصل الحكاية يا بيه أنهم يريدون عمل سطح العمارة سيراميك.. أستاذ «سمير» اقترح أن نشتري «فرز تاني»، لكن...

صرخ فيه «كرم» مقاطعًا:

- ياللنهار الأسود.. كم تريد يا عم «شحاتة»؟ أنا لا أحب هذا الصداع، فأنا مصاب بالصداع بالفعل.

أجابه البواب وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- مائتا جنيه.

قال له «كرم» وهو يناوله الحقائب:

- خذ هذه الحقائب للهانم تحت.. سوف أعطيك المال عندما أنزل.

ثم صفع الباب بقوة دون أن ينتظر ردًا من البواب..

أخذ «كرم» نفسًا عميقًا وابتسم.. يجب ألا يكون بهذا التوتر، واتته فكرة مفاجئة، لماذا لا يحاول أن يبحث عن معلومات أكثر عن مرض التوحّد حتى يكون على دراية كافية بحالة «مازن»؟

كل شيء الآن موجود على الشبكة العنكبوتية، أحضر حاسوبه المحمول ووضعه على منضدة الطعام وبدأ في تصفح الشبكة وتلخيص ما فهمه..

يُعتبر أول ما كُتب عن التوحّد هو ما ذكره «مارتن لوثر» في كتابه «The Table Talk»؛ حيث تحدث عن صبي يبلغ من العمر 12 عامًا

sa7eralkutub.com

حالة توحد

ظهرت عليه أعراض التوحّد بشدة، لكن بالطبع في ذلك الزمان، وقبل اكتشاف المرض، كان من الطبيعي أن يعتقد «لوثر» أن الصبي واقع تحت الاستحواذ الشيطاني، مثل ما كان يحدث مع مرضى الصرع في قُرانا أو حتى في المدن قبل انتشار الوعي بهذا المرض، لكن هناك مَن شكّك في صحة المقالات الخاصة بذلك الصبي، ناهيك عن غضب الكنيسة الكاثوليكية على «مارتن لوثر» من الأساس..

قضية «هوف بلير»، عام 1747م، هي أقدم حالة موثقة بصورة جيدة عن التوحّد، الذي كان يقطن بقرية «بورج»؛ حيث قام شقيقه برفع دعوى يريد فيها إلغاء زواجه للحصول على ميراثه، بالطبع كانت الأعراض المصاب بها «بلير» هي أعراض التوحّد..

في عام 1910م، صاغ الطبيب السويسري «يوجين بلولير» المصطلح اللاتيني «autismus» الذي تُرجم إلى الإنجليزية بـ«autism»، لكنها لم تكن تصف التوحّد المعروف الآن بشكل دقيق، كان «بلولير» يستخدمها ليصف مرض الإعجاب بالنفس؛ حيث اعتبر أن انسحاب مريض التوحّد في ذاته وانعزاله عن الواقع وليد الإعجاب بالنفس..

sa7eralkutub.com

ربما كانت تلك خطوة جيدة لبداية تعريف التوحّد، لكن البداية الحقيقية كانت في عام 1978م عن طريق «هانز أسبرجر»، الذي سُميت متلازمة أسبرجر نسبة له..

وُلد «هانز أسبرجر» في عام 1908م بمزرعة خارج «فيينا»، كان أكبر إخوته، عاش وحيدًا، كان يجد صعوبة في مخالطة الناس والعثور على الأصدقاء، لكنه كان يمتلك موهبة لغوية فريدة ومهتمًا بالشعر على وجه الخصوص..

لماذا نذكر تلك التفاصيل عن «هانز أسبرجر»؟ لأنه ببساطة كان يعاني هو نفسه بعض أعراض التوحّد..

درس «أسبرجر» الطب في جامعة «فيينا»، وفي عام 1944م نشر تعريفًا للتوحّد وجده من ملاحظة لأربعة صبية كان يقوم بدراسة حالاتهم النفسية، وكان تعريفه للتوحّد مطابقًا تقريبًا لتعريف نُشر في وقت سابق لطبيبة الأعصاب الروسية «سوخاريفا جرونيا» عام 1926م.

بالنسبة لأعراض التوحّد، قد تبدأ من سن ستة أشهر وتتجلى في عمر سنتين أو ثلاث سنوات، ويتميز التوحّد باجتماع ثلاثة أعراض فيه، هي: ضعف في التفاعل الاجتماعي، وضعف في التواصل، واهتمامات وأنماط سلوكية مقيدة ومتكررة، أي: يقوم بتكرار حركاته بصورة رتيبة وملحوظة..

sa7eralkutub.com

هناك أعراض أخرى، وهناك أيضًا أسباب تتعلق بإهمال الأم وعدم تواصلها بصورة جيدة مع الطفل، وهذا ما لفت انتباه «كرم»، هل من الممكن أن تكون «مي» هي سبب مرض «مازن»؟!

توقف «كرم» عند هذا الكم من المعلومات، الذي اعتبره كافيًا وأكثر؛ فهو لن يقوم بتحضير رسالة دكتوراه عن التوحّد على أي حال، هو فقط لا يريد أن يكون مثل الحمار إذا تحدثوا عن الأمر وهو جالس، قام من على الطاولة، وعندما التفت ليدخل غرفته مرة أخرى لمح شيئًا خلف الأريكة، شيئًا مُلقًى على الأرض، لونه أصفر.. انحنى على الأرض وأمسك به.. إنها لعبة بريئة.. دمية على شكل دب.. يبدو أن ابنه نسيها هنا.. لكن مهلًا.. زوجته لا تترك مثل هذه الأمور تحدث.. إنها تجعله يرتّب لعبه كلها بعد اللعب.

فجأة تذكر أين رآها.. ألقى باللعبة من يده كأن فيها تيارًا كهربائيًا.. هل يمكن أن تكون هي بالفعل اللعبة التي كانت في يده؟!

في يد «مازن» بالمصحة.

* * *

ارتدى «كرم» ملابسه بسرعة.. ترك اللعبة على طاولة الطعام ونزل مسرعًا.. قابله البواب الذي ما إن رآه حتى أقبل عليه سائلًا إياه بلهفة:

sa7eralkutub.com

- هل ستعطيني المال الآن يا «كرم بيه»؟

فرد عليه «كرم» وهو شارد الذهن:

- أي مال؟

نظر إليه البواب وهو يظن أنه يدَّعي النسيان وقال له:

- أنسيت يا بيه؟! المال.. مائتا جنيه.. السطح.

صرخ فيه «كرم» بغضب وهو يعطيه المبلغ:

- اسكت.. خذ المال.

ركب «كرم» السيارة وطوال الطريق للقسم كان يفكر فيما حدث معه منذ الفجر.. كان لا يريد أن يصدق ما رآه؛ فهو ينافي المنطق الذي يستند إليه عمله كله.. كيف سيزوره «مازن»؟ لن يسمح لنفسه بالتفكير في الأمر على هذا النحو.. على العموم صديقة «مي» تنتظر بالقسم.. سوف يبدأ اليوم بالعمل الذي يفضِّله: استجواب الشهود.

عندما وصل إلى القسم، كانت تنتظره بغرفة المأمور.. «نورهان»، صديقة القتيلة.. لقد حصلت «مي» رسميًا على هذا اللقب.. كانت «نورهان» تجلس بأنف أحمر من أثر البكاء والمخاط.. ترتدي نظارة شمسية سوداء.. وبالطبع ترتدي كذلك الملابس السوداء، جلس «كرم» ليفتح المحضر الذي سيأخذ فيه أقوالها.. اليوم والساعة واسمها.. قال لها «كرم»:

sa7eralkutub.com

- سمعت أنك كنتِ أقرب صديقة للقتيلة.

أجهشت «نورهان» بالبكاء وقالت له:

- لا تقُل عنها ذلك.

نظر إليها «كرم» بما يعني «سوف نبدأ الخبل».. سألها بضجر:

- أقول عنها ماذا؟

فردت وهي لا تزال تبكي بحرقة:

- تلك الكلمة الفظيعة.

فهز «كرم» رأسه متفهمًا وقال:

- آه.. القتيلة؟

فصرخت «نورهان»:

- لا.. لا تقولها أمامي.

لاحظ «كرم» أن الأمر ممتع فجرّب مرة أخرى وقال:

- حسنًا.. حسنًا.. لن أقول القتيلة مرة أخرى.

- لا.

كانت تذكّره بأحد مشاهد أفلام «فؤاد المهندس».. عندما كان يقول أحدهم:

- السلطان «مارينجوس الأول».

sa7eralkutub.com

فيظل هو يردد بطريقة كوميدية:

- طويل العمر يطول عمره... إلخ.

وكأن هناك مفتاحًا تضغطه فتبدأ «نورهان» بالصراخ.. كان يريد أن يستمر في اللعب، لكنه تذكر القضية فقال لها بجدية:

- ما مدى علاقتك بالـ... أقصد بـ«مي»؟

ردت عليه بطريقة مسرحية:

- كانت أكثر من أختي.

لولا أنها ليس لها مصلحة لقال إنها القاتلة.. دائمًا يكون القاتل أقرب الأشخاص للقتيل وأبعدهم عن الذهن.. سألها «كرم» مرة أخرى:

- منذ متى وأنتما صديقتان؟

أجابته من بين شهقاتها المتتالية بسبب البكاء:

- منذ أن كنا بالجامعة.

فعاد يسألها بجدية:

- ماذا تعرفين عن علاقتها بزوجها وابن خالتها «عمرو»؟

لم تُجب «نورهان»، فقال لها بطريقة ودود حتى يشجعها على الكلام:

- مهما كان السؤال محرجًا.. كل معلومة سوف تدلين بها قد تساعدنا في الوصول للقاتل.

sa7eralkutub.com

أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت بتأثر:

- لم تحب «مي» زوجها في يوم من الأيام.. عندما تزوجته بعد ضغط والدها عليها ظنت أنها سوف تستطيع تحمّله، وكان هو في بداية زواجه منها يُحتمل.. لكنه كان يسوء.. معاملته الحسنة تغيرت، خاصة بعد أن عرف بأمر مرض ابنه.

* * *

كان ذلك منذ سنوات..

عندما تزوجت «مي» وانقطعت آمال «عمرو» في الحصول عليها، سافر إلى إحدى دول الخليج.. الكلية التي تخرج فيها وتخرج معه الآلاف مثله لم توفر له العمل في مجال دراسته؛ لذلك وافق على أي عمل بالخارج.. لكنه بعد فترة وجد أن ما يأخذه لا يزيد كثيراً على ما يمكن أن يحصل عليه لو ظل في بلده ورضي بأي عمل كما فعل هنا؛ لذلك قرر أن يتبع استراتيجية أخرى غير العمل للحصول على المال، هي الزواج.

لسبب ما، يرى «عمرو» أنه فرصة ذهبية ويجب أن يتزوج من ذات مال تنفق عليه، الكثير من الرجال يعتقدون ذلك.. ربما يجذون أن صوت شخيرهم أعلى من باقي الرجال ويعتبرون ذلك مزية لا يمكن أن تقاومها أي امرأة.

sa7eralkutub.com

وجد «عمرو» أخيرًا من سيتعطف عليها وتنال ذلك الشرف العظيم.. إنها ابنة الكفيل، تكبره بسنوات.. مطلقة لأنها لا تنجب.. سوف يوافق والدها على الفور عندما يتقدم لخطبتها.. حفيد الفراعنة قادم.. افتحوا الأبواب.. علّقوا الرايات.. انشروا الموائد.. لكنه بالطبع سوف يملي شروطه عليهم.

قضى «عمرو» في السجن سنتين بعد ذلك الحادث.. هو لا يعرف التهمة بالضبط لكنه متأكد من أن الكفيل هو السبب في سجنه.. خرج من السجن إلى المطار إلى القاهرة إلى منزله.. بعد ذلك بأيام قليلة كان يجلس في الشرفة يراقب فتاة في سن المراهقة تنشر ملابسها.. دخلت عليه والدته وهي تقول له بحماس:

- سوف تأتي «مي» لزيارتنا في الغد.

فرد عليها بفتور:

- أهلًا وسهلًا.. هل سيأتي زوجها معها؟

فأجابته والدته بالحماس نفسه:

- لا.. سوف تأتي ومعها ابنها «مازن».

ظل «عمرو» ساكنًا ولم يقُل أي شيء آخر لأمه، فسألته بدهشة واستنكار:

- لماذا لست متحمسًا؟

sa7eralkutub.com

فأجابها باللهجة الخاوية نفسها:

- ولماذا أتحمّس؟

أجابته والدته بالدهشة نفسها:

- لزيارة ابنة خالتك.

فرد عليها بلهجة جادة:

- حسنًا، سوف أنزل لأشتري فانلة مكتوبًا عليها «مي» وعلم نادي «مي» وأرسم اسمها على جبهتي وأدور بالعلم في الشارع وأنا أقول: «مي».. «مي».. هُو.. هُو.

وكزته أمه في كتفه بغلظة وهي تقول بغضب:

- تسخر مني يا غبي!! «مي» هي طريقك للخروج من الفقر الوراثي الذي تعيش فيه.

فقال لها بغضب:

- أنتِ من أوهمتني بذلك، وما زلت.. كيف ستكون هي السبيل؟ تتزوجني على زوجها؟!

ردت عليه والدته بتحدٍ:

- لا يا ناصح، لكن «مي» في مشكلات مستمرة مع زوجها.. صدقني لن تستمر معه.. سوف يحدث الطلاق إن عاجلًا أو آجلًا.

sa7eralkutub.com

فسألها «عمرو» وقد بدأ الأمل يعود حثيثًا إلى قلبه:

- وما الذي سيجعل والدها يوافق عليّ حتى لو حدث وطلقها زوجها؟

فأجابته أمه بحكمة البوذيين وهي تتأمل الأفق البعيد:

- المطلقة في مجتمعنا كارثة على أهلها، خاصة وهي معها طفل.

فرد عليها «عمرو»:

- هذا الكلام للفقراء.. بمال والدها يزوجها من هو أفضل من زوجها مائة مرة.

فقالت له والدته بحنكة لاعبي الشطرنج المخضرمين هذه المرة:

- إلا لو كان لها رأي آخر.

استيقظت حاسة النذالة عند «عمرو» عندما سمع تلميح والدته وقال لها:

- هل قالت لك شيئًا؟

فأجابته والدته:

- لقد صرحت بأشياء.

فسألها بلهفة:

- ماذا قالت لك؟

فقالت له أمه مؤنبة إياه:

sa7eralkutub.com

- لقد كنت تسخر مني منذ لحظات.

فنظر إليها «عمرو» نظرة المطعون في شرفه وقال:

- أنا أسخر منك! يا ست الحبايب.. يا حبيبة.. يا أغبى.. قصدي يا أغلى.. من روحي ودمي.. يا حنينة وكلك طيبة.. يا رب يخليكي يا أمي.. يا رب...

قاطعته والدته حتى يوقف وصلة النفاق هذه قائلة:

- توقف يا منافق، منذ الآن تسمع الكلام الذي أقوله لك حتى يتم الطلاق.. يجب أن تعيد علاقتك بها أقوى من أيام الجامعة، اذهب الآن إلى الحلاق.. واشترِ قميصًا جديدًا أثناء عودتك.. لا، بل اشترِ أفضل فانلة ضيقة.. شيء شبابي.. أريدها أن تُجنَّ عندما تراك.

فمصمص «عمرو» شفتيه في تأثر وقال لنفسه:

- صحيح يا جدعان.. الأم مدرسة.

* * *

قالت «نورهان» لـ«كرم» بعد أن ألقت المعلقات الطوال عن صداقتها بـ«مي»:

sa7eralkutub.com

- بعد زواجها من «ممدوح»، سافر ابن خالتها للعمل في إحدى دول الخليج لكنه لم يوفّق وعاد.. ذهبت «مي» لزيارته.. بدأ الأمر بينهما بالعتاب.

* * *

كانت «مي» جالسة تتحدث مع خالتها، و«مازن» يجلس على كرسي بمفرده صامتًا كعادته.. كانت «مي» تحاول أن تمضي الوقت حتى يأتي «عمرو».. لقد أخبرتها خالتها أنه غير موجود مع أنه كان بغرفته..

حاولت «مي» ألا تسأل عنه، لكنها لم تستطع المقاومة:

- ألم يعد «عمرو» حتى الآن؟

فردت عليها خالتها بتأثر:

- إنه موجود بالداخل منذ أن أتيتِ، لكنه لا يستطيع أن يخرج ليسلّم عليك.. نفسه لا تطاوعه.

والدة «عمرو» ليست مؤلّفة جيدة فقط، بل ممثلة قديرة أيضًا..

قالت لها «مي» بتوسّل:

- أرجوكِ يا خالتي، يجب أن أراه.

فقامت السيدة الطيبة وهي تهز رأسها وتقول:

- أحاول أن أقنعه أن يخرج ليراك.

sa7eralkutub.com

غابت بالداخل قرابة ربع الساعة ثم عادت تدفعه أمامها.. وقف أمامها صامتًا.. فقالت الخالة لـ«مازن» الذي لم تكلمه منذ أن وصل:

- هيا بنا يا حبيبي لنلعب بالخارج.

نظر «مازن» لوالدته التي لم تلتفت إليه ثم خرج مع السيدة التي أجلسته على كرسي بالخارج وتركته.. نظرت «مي» لـ«عمرو» باستجداء وسألته وهي توشك على البكاء:

- كيف حالك يا «عمرو»؟

فأجابها بصوت شجي:

- كما ترين.

كان ينقصه الموسيقى التصويرية ويكتمل المشهد.. سألته «مي» بتوسل:

- ألن تجلس؟

فجلس على كرسي مجاور لها.. لحظات من الصمت قبل أن يقول لها بشجن:

- كيف حالك أنت؟ سعيدة مع زوجك؟

ردت عليه بسرعة:

- لا أظن أن حياتي معه ستستمر.

sa7eralkutub.com

نظر في عينيها فعرف أنها ما زالت قادرة على الاستسلام له فقال لها بطريقة أبطال المسرحيات:

- لا أدري لماذا تركتني.. لماذا لم تقاومي بعد ما حدث بيننا؟ لقد صرنا كيانًا واحدًا.

أوشكت «مي» على البكاء وهي تقول:

- كان الأمر أقوى مني.. لقد أصرّ والدي.

لم يكن «عمرو» من النوع الصبور؛ لذلك قفز عدة مراحل في الحوار الذي لقنته والدته إياه.. اقترب منها وأمسك يدها دون أدنى اعتراض منها وقال لها وهو يستحضر جميع المشاهد الرومانسية المخزنة في عقله الباطن:

- يمكننا أن نصلح هذا كله الآن.. يمكننا أن نعوّض ما فاتنا.

اقتربت منه.. كانت تريد أن ترتمي في أحضانه، لكنها لاحظت ذلك الظل الواقف عند الباب.. لم يكن ظل خالتها الضخم.. التفتت لترى «مازن» ينظر إليها نظرة غريبة.. كأن هناك لهبًا أزرقَ يتحرك في مقلتيه.. لم تكن نظرة طفل صغير، بل كانت نظرة كراهية لا تصدر من طفل في الرابعة من عمره.. اعتدلت «مي» في جلستها فلاحظ «عمرو» وجود الطفل فقال له بتردد بعد أن لاحظ نظرته:

- «مازن» يا حبيبي.. كيف حالك؟

sa7eralkutub.com

ابتسم الولد في سخرية لا تتناسب مع عمره ولم يرد.

* * *

كانت «نورهان» لا تزال تحكي عمّا تعرفه عن علاقة «مي» بـ«عمرو» وتستطرد في تفاصيل لا تهم «كرم» - الذي أوشك أن يلقي بها من النافذة - في شيء.. لكنه لم يكن يريد مقاطعتها لعلها تقول ما يفيده في القضية وبالفعل بدأت في قول ما ينتظره:

- عادت علاقة «عمرو» بـ«مي» كما كانت قبل زواجها.

فسألها «كرم» بتحفز:

- ما المدى الذي وصلت إليه تلك العلاقة؟

فقالت «نورهان» بخجل:

- علاقة وطيدة.

سألها «كرم» بصبر نافد:

- هل كانت «مي» عذراء عندما تزوجها «ممدوح»؟

فزعت «نورهان» من السؤال ولم ترد، فعاد «كرم» يقول لها بصبر نافد:

- هذا ليس وقت الخجل.. كل ما تعرفين قد يكون مفيدًا في القضية.

قالت «نورهان» بعد تردد:

sa7eralkutub.com

- بصراحة أنا لا أعرف هذا الأمر.. لكني أعرف أنها بعد زواجها من «ممدوح».. عندما عادت إلى «عمرو» كانت تعامله على أنه هو زوجها.

فعاد «كرم» يسألها:

- و«ممدوح».. ماذا فعل؟

أجابته وهي تحاول التركيز حتى لا تنسى أي شيء:

- كان يشك فيها.. وزادت المشكلات بينهما حتى وصلا في العامين الأخيرين إلى الوضع الذي تراه.. لا زواج ولا طلاق.. هي تعيش مع ابنها في شقتها وهو يعيش مع والده.

فسألها «كرم»:

- لماذا لم يطلقها؟

أجابته وهي تمسح المخاط الذي أوشك على الدخول في فمها:

- أظنه كان يحبها.. بل كان مجنونًا بها.. وكلما أساءت معاملته تمسك بها أكثر.. لقد كان يعرف أنها لم تكن تريده من الأساس.

كانت هذه المعلومات كافية بالنسبة لـ«كرم».. صرف «نورهان» لكنه قال لها قبل أن تخرج، من باب الانتقام:

- ربما استدعيناك مرة أخرى لسؤالك عن القتيلة إذا جدَّ شيء ما.

فصرخت «نورهان» بعد أن كانت قد هدأت قليلًا:

- لا تقُل هذه الكلمة.

sa7eralkutub.com

وانغمست في البكاء من جديد..

فابتسم في رضا وراحة ضمير.

sa7eralkutub.com

زيارة

عندما اتصل «كرم» بالمعمل الجنائي ليسأل عن التقرير أخبروه أنهم سوف يقومون بإرساله إليه في الغد.. لم تكن حالة والد «مي» تسمح باستجوابه؛ لذلك قرر زيارة «مازن» لعله يعرف منه أو عنه أي شيء جديد..

كان هناك شيء في داخله يذكره بالحلم الذي رآه في الفجر.. هو حقيقة لا يعرف أكان مستيقظًا أم نائمًا! كذلك اللعبة التي رآها تشغل تفكيره.. لكن ذلك كله لا يمكن أن يخضع للمنطق الذي هو أساس عمله..

ترجّل عن سيارته عندما وصل إلى المصحة.. دخل مباشرة إلى غرفة «مازن».. لم يعترض أحد طريقه لمعرفة الجميع به بعد العرض المسرحي الذي قدمه بالأمس وأفزع هو من خلاله كل العاملين بالمصحة.. كان المخبران يجلسان عند باب الغرفة، فقاما وأدّيا التحية فور رؤيتهما إياه.. لم يكترث إليهما ودخل الغرفة ليجدها فارغة.. وقع قلبه بين قدميه.. سوف يخبرانه أنهما لا يعرفان أي شيء.. سوف يضطر لصعقهما بالكهرباء

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

حتى يعترفا.. ربما أخذه والده لأن «مازن» قد رآه وهو يقتل والدته.. ربما كان هذا الطفل هو القاتل وفرّ هاربًا!!

- أين الطفل أيها الأحمقان؟

صرخ فيهما «كرم» وهو يمسك بياقة قميص أحدهما، ما أدى إلى فك أزراره.. ردَّ عليه الآخر لأن زميله كان يختنق:

- ماذا هناك يا «كرم بيه»؟ إنه مع دكتورة «جمالات».

شعر «كرم» بالإحراج الشديد.. أعاد ربط الأزرار للرجل وهو يقول له:

- إحم.. ماذا يفعل مع الطبيبة؟

فردَّ الرجل الذي كان يختنق وهو يوشك على البكاء:

- تكشف عليه.. لقد تعرّض لحالة هياج مفاجئة.. من دون سابق إنذار وجدناه يضرب رأسه بالحائط.

فقال لهما «كرم» بلوم:

- لماذا لم تذهبا معه؟

أجابه الرجل:

- لقد ذهب معه النقيب «سعد» وطلب منا البقاء هنا.

فعاد «كرم» يسأله:

sa7eralkutub.com

- إلى أين أخذوه؟

رد الرجل وقد عاد وجهه إلى اللون الطبيعي بعد أن كان قد حال إلى الأزرق:

- إلى غرفة المراقبة الحركية الملاحية أو التموينية.. لا أعرف بالضبط.

بالطبع لم يحفظ الرجل اسم الغرفة وكان يقول أي شيء.. قال له «كرم» بنفاد صبر وهو يزفر:

- تموينية؟! قل لهم أن يحضروا لنا زجاجة زيت في أثناء عودتهم! أين غرفة الكشف هذه؟

فردَّ الرجل:

- في نهاية الرواق إلى اليمين.

ذهب «كرم» إلى حيث أشار الرجل.. لم يجد سوى غرفة واحدة فدخلها على الفور.. كانت غرفة مظلمة لها جدار زجاجي يسمح برؤية غرفة أخرى مجاورة، بينما الغرفة الأخرى جدارها مرآة.. فهم «كرم» فكرة الغرفة على الفور.. تشبه غرف استجواب المجرمين في الأفلام الأمريكية.. كان يجلس بالغرفة المظلمة المدير ومعه النقيب «سعد»، بينما تظهر الطبيبة من خلف الزجاج تتحدث إلى «مازن» وهو جالس على سرير في صمت يبدي ردود فعل بطيئة كل فترة ورأسه مربوط بشاش طبي ويبدو أنه مصاب..

sa7eralkutub.com

اقترب «كرم» من المدير وسأله عن الذي حدث فأجابه وهو ينظر إلى «مازن»:

- حالة هياج مفاجئ.. تحدث كثيراً لمرضى التوحّد.

فعاد «كرم» يسأله:

- وما سببها؟

رد الطبيب بنفاد صبر:

- شيء طبيعي بالنسبة لحالته.. لا يكون لها سبب معين.

رن هاتف «كرم» فأخرجه ليرى الطالب.. كانت «نسمة» زوجته.. بالطبع لا يستطيع أن يتجاهلها.. ابتعد عن المدير قليلًا ليرد على الهاتف.. سمع صوت زوجته الصارم يسأله:

- هل أنهيت عملك؟

فردَّ «كرم» بطريقة آلية:

- ما زلت في العمل.. هل أنتم بخير؟

فردت زوجته على الفور:

- لا، لسنا بخير.. لقد أصيب «سامح».

نظر «كرم» إلى «مازن» مربوط الرأس وقال لها:

- ما الذي أصاب «سامح»؟

sa7eralkutub.com

فأجابته «نسمة»:

- تشاجر مع أحد الأطفال.

فقال لها بغيظ:

- منذ متى والأطفال يتشاجرون في النادي؟ هل رأيت هذا الطفل الذي تشاجر معه؟

فأجابت الزوجة بالنفي.. فقال لها:

- هل «سامح» عندك؟ أريده.

سمع «كرم» صوت ابنه على الجانب الآخر فقال له:

- «سامح» يا حبيبي.. ما الذي حدث؟

أجابه «سامح» وهو يحاول ألا يبكي:

- لقد كنت عند صالة التمرين عائدًا إلى أمي عندما استوقفني ذلك الطفل حاد النظرات.. قال لي أريد لعبتي فأخبرته أنني لا أعرف عنها شيئًا.. حاول دفعي لكنه فقد توازنه ووقع على رأسه فأصيب.. فقام وضربني ثم اختفى.

سأله «كرم» وهو يخشى الإجابة:

- هل يمكنك أن تصفه لي؟

تلعثم الولد ثم قال:

- أظنه بني الشعر.. أبيض الوجه.. عيناه ليستا سوداوين.

sa7eralkutub.com

فقال له «كرم» برعب:

- هل اسمه «مازن»؟

فرد الولد:

- أنا لا أعرف اسمه.

نعم.. لا تعرف اسمه.. لكن هذه صفات ذلك الوغد الجالس في هدوء.. سوف يصيبني هذا الولد بالجنون.. طلب من ابنه أن يعطيه والدته فقال لها:

- خذي الولدين وعودي إلى البيت على الفور.

سألته زوجته باستنكار:

- ألن تأتي؟

رد عليها هذه المرة بصرامة:

- لا.. عندي عمل.. عودي إلى البيت.. الآن.

ثم أغلق الهاتف على الفور وقال للمدير:

- أريد أن أتحدث مع الطبيبة المشرفة على «مازن».

لم يجبه المدير فأعاد طلبه مرة أخرى.. فنظر إليه المدير من فوق العوينات ثم قال له:

sa7eralkutub.com

- لا مؤاخذة.. ظننتك تتحدث إلى زوجتك.. ما الذي حدث لـ«سامح»؟

نظر إليه «كرم» بغيظ.. هذا الرجل يتجسس عليه وفضولي بدرجة بشعة.. ردَّ عليه «كرم» سائلًا بجدية:

- هل يمكنني التحدث مع الطبيبة؟

أجابه المدير وهو يعود لمراقبة الغرفة:

- عندما تنتهي من فحص «مازن».

فسأله «كرم» بضجر:

- ومتى تنتهي؟

لم يجبه الطبيب وأشار إليه ليجلس.. جلس بجانب «سعد» الذي كان هائمًا في الطبيبة.. كان لا ينظر إلى «مازن» أبدًا، بل من الواضح أنه يركِّز كل تفكيره ونظراته على «جمالات».. كانت نظرات «سعد» تُذكره بنفس نظرات «لبنى عبد العزيز» الهائمة أو «زبيدة ثروت» الحالمة.. ضربه «كرم» على كتفه فأخرجه من أحلامه غير البريئة وقال له:

- كيف حالك يا «سعد بيه»؟ كان الولد سيموت منا وأنت تجلس تشاهده.. هل آتي لك بلبّ وفول سوداني في المرة المقبلة؟!

فقال له «سعد» بعد أن أفسد «كرم» مزاجه وأخرجه من تأملاته العميقة:

sa7eralkutub.com

- لقد حدث كل شيء بسرعة.. كنت مع المخبرين خارج الغرفة عندما سمعت صوت الارتطام بالداخل.. دخلت لأجده ملقى على الأرض والدماء تنزف من رأسه.. حاولت أن أساعده على النهوض لكنه أزاحني وبدا كأنه في عراك مع شخص وهمي.. كان يتمتم بكلمات غير مفهومة.. بعد ذلك سكن وعاد إلى سريره والدم ينزف من رأسه.. جلس في سكونه الغريب.. كانت الطبيبة قد وصلت.. أخذته إلى هنا بعد أن ضمدت جراحه.. إنها شديدة الطيبة.

سأله «كرم» بدهشة:

- من التي شديدة الطيبة؟!

أجابه «سعد» وهو ينظر هائمًا في «جمالات»:

- الطبيبة بالطبع.. لقد حملته كالكلبة التي رأيتها في برنامج عن الحيوانات وهي تحمل جروها.

هزّ «كرم» رأسه بعد أن أيقن أن «سعد» أخيرًا أصيب بالعتَه.. ثم قال له:

- كالكلبة؟! تشبيه بليغ بالفعل! هل تعرف اسمها؟

فأجابه «سعد» وهو يتنهد:

- من؟ الطبيبة؟ «جمالات».. ياله من اسم جميل.

sa7eralkutub.com

حاول «كرم» أن يمسك أعصابه.. فهو يمكنه أن يتغاضى عن إصابة «مازن».. يمكنه أن ينسى القضية برمتها.. يمكنه أن يعطي للقاتل جائزة السلام العالمي التي لا يعرف هو شخصيًا ما هي.. لكنه لا يمكن أن يغفر له تلك المقولة، فقال له بغيظ:

- لأن اسمها «جمالات» فيكون جميلًا.. لو كان «عنايات» فيكون «عنيلًا»!

المهم، هذا ليس موضوعنا.. دعك من الطبيبة وركِّز مع الولد.. لا أريد أن آتي لأجده مقتولًا.

رد عليه «سعد» بفخر وهو يضرب صدره:

- لا تخف.. هو في حمايتي من الآن.

فهز «كرم» رأسه في حسرة وشك.. ثم قال له:

- وهذا ما يقلقني.

كانت الطبيبة لا تزال تقوم بالكشف على «مازن»، كان «كرم» ينتظر بصبر نافد عندما رن هاتفه.. هذه المرة كان القسم يخبره بأن تقرير البصمات قد وصل من المعمل الجنائي على الرغم من أنهم أخبروه قبل ذهابه أنهم سوف يرسلونه في الغد، فأخبرهم أنه سيعود إلى القسم على الفور.. قال للمدير قبل أن يرحل:

- هل من الممكن أن أدخل لأسأل الطبيبة عن شيء ما؟

sa7eralkutub.com

أمسك المدير بميكروفون يوصله بمن في داخل الغرفة التي كانت جدرانها عازلة للصوت، استأذنها ليدخل «كرم» فنظرت إلى المرآة وهي تعلم أنهم يرونها وأشارت بالإيجاب.. كان «كرم» يريد أن يعرف سبب الحالة التي أصابت «مازن».. لقد بدأ يشك في هذا الطفل ويخشاه- دخل «كرم» فنظر إلى الطفل الذي لم يُبد أي اهتمام لوجوده.. ابتسم «كرم» ابتسامة شاحبة في وجه «جمالات» التي كانت تنظر إليه بملل بطريقة «اسأل لأعود إلى عملي».. توتر «كرم» أكثر وسألها:

- كيف حال «مازن»؟

قالها وهو ما زال ينظر إلى الطفل الذي بدا عليه أنه لا يسمعه أو يراه، هو بصراحة يبدو عليه أنه ميت من الأساس.. ردت عليه الطبيبة:

- سوف يكون بخير.. ربما ظل تحت الملاحظة ليوم آخر ثم نعيده إلى غرفته.

نظر «كرم» حوله ثم قال:

- وجوده في هذه الغرفة بمفرده كفيل بأن يجنّه.

نظرت إليه «جمالات» في عتاب لذكره هذه الكلمة أمامه وقالت:

sa7eralkutub.com

- لن يكون بمفرده.. سوف تبيت إحدى الممرضات معه.. لكن وجوده في هذه الغرفة مهم؛ فجدرانها مبطنة مثل الإسفنج.. لن يستطيع أن يصدم رأسه بالحائط مثلما يبدو أنه فعل في غرفته.

أعجبت «كرم» فكرة تلك الجدران، فاقترب من أحدها ليتأكد بنفسه أنها لينة كما تقول «جمالات».. في البداية كان يريد التأكد بالفعل، لكن اللعبة أعجبته وبدأ في تحسس الحوائط كلها بطريقة طفولية حتى سمع صوت المدير يسأله بدهشة من السماعات الملحقة بالغرفة:

- هل هناك خطب ما بالحائط يا سيد «كرم»؟

عاد «كرم» إلى أرض الواقع فأشار إلى المرآة التي كان المدير يجلس خلفها بالنفي ثم قال لـ«جمالات»:

- سوف أجعل المخبرين يبيتان أمام الغرفة التي سينام فيها.

هزت «جمالات» كتفيها في لا مبالاة وقالت له:

- حسنًا.. هل تريد شيئًا آخر؟

ما هذه الطريقة الجافة؟ اسمك «جمالات» وتفعلين بي هذا! ماذا لو كان اسمك «إنجي»؟! كان مصيري سيكون الضرب بالسياط..

نظر «كرم» إلى الطفل وقال لها بلهجة ذات مغزى:

- كنت أريد أن أسأل عن بعض الأشياء، لكن لا يمكن الآن.

sa7eralkutub.com

فهمت الطبيبة أنه لا يريد الكلام أمام الطفل.. همّ «كرم» بالانصراف، لكن «مازن» نظر إليه وقال بوجه جاد:

- «كرم».

كان يتوقع ما سيقوله.. فقال له بملل:

- أعرف.. «كرم» اسم جميل.

لكن «مازن» رد عليه بصوت غاضب:

- «كرم» جميل.. لكن «سامح» اسم سيئ.

جحظت عينا «كرم» وخرج من الغرفة مسرعًا.. لم يسلّم على أحد في أثناء فراره.. فقط تمتم ببعض الكلمات غير المفهومة.. كيف عرف اسم ابنه؟! جرى إلى الشارع.. يريد أن يتنفس.. لماذا يندر الهواء فجأة عندما نحتاجه؟ كيف عرف هذا الولد اسم ابنه؟ كان يقول لنفسه: لا يمكن أن أفكر مجرد التفكير في أنه هو من كان بالنادي.. أو زارني بالأمس.. سوف أجد الحل لكل تلك الألغاز.. ربما سمعني وأنا أتحدث في الهاتف.. لكن جدران الغرفة عازلة للصوت.. سوف أقرأ تقرير المعمل الجنائي أولًا قبل أن أعود لذلك الطفل..

الذي أرجو أن يكون طفلًا بالفعل.

* * *

sa7eralkutub.com

عاد «كرم» إلى مكتب المأمور الذي احتله ليجد الظرف في انتظاره.. تقرير المعمل الجنائي.. كالمعتاد لن يجد البصمات على سلاح الجريمة إلا لو كان المجرم قادمًا من زمن آخر لم يرَ فيه التلفاز وجميع المجرمين فيه يرتدون القفازات.. من يلبسون القفازات وهم يقتلون، وهم يسرقون.. قريبًا لصوص الملابس وأحذية المساجد سوف يرتدون القفازات.

بالطبع تم الحصول على بصمات الجميع ومقارنتها بالبصمات الموجودة على المقص.. نعم كانت هناك بصمات على المقص.. كانت تخص «مازن»؛ لأنه كان يمسكه.

طفل هزيل في الثامنة.. يكسر زجاج باب غرفة نوم والدته لقتلها هي وعشيقها دون أن تقاومه.. شيء عادي ويحدث كل يوم! لو قال هذا الاحتمال فسيتهمه الجميع بالعته.. ربما أمسك «مازن» بالمقص بعد أن وجده بجانب والدته.. هذا أكثر واقعية.. على العموم، في الغد سوف يتحدث إلى الجيران والخادمة.. الخادمة التي لم يلتفت إليها لشكه في الزوج.. كثيراً ما تقتل الخادمات.. لكن للسرقة.

عاد «كرم» إلى بيته وطوال الطريق كان يفكر في «مازن».. «سامح» اسم سيئ.. «سامح» يضربه بالنادي طفل يشبه «مازن» وزوجته لم ترَه.. لو يتكلم «مازن» لحلَّ له الكثير من المشكلات.

sa7eralkutub.com

عندما دخل الشقة كان الإنهاك قد بلغ منه مداه.. الطفلان نائمان.. ضرب ببصره مائدة الطعام ليجد أن اللعبة ليست عليها.. دار حولها ونزل تحتها.. ظل يحرك في الكراسي.. لم يعد لها أثر.. عندما وقف مرة أخرى وجدها أمامه.. زوجته لا اللعبة.. تنظر إليه بدهشة وهي تقول:

- ماذا تفعل يا «كرم»؟ وما هذا الإزعاج؟

فأجابها وهو لا يزال يجول ببصره حول المائدة:

- لقد تركت لعبة صفراء على المائدة هذا الصباح.. كانت على شكل دب يرتدي شيئًا أحمر.. يعني هي في الحقيقة أصفر وأحمر.. دب أصفر ورداء أحمر.

نظرت إليه زوجته في دهشة وقالت له بسخرية:

- من أخذ منك «الدبدوب» قادر أن يعيده إليك.. يمكنك أخذ أي لعبة تريدها من «سامح».. لن يعارض.

شك في أنها من الممكن أن تكون تسخر منه.. سوف يخرج المسدس ويقتلها الآن.. لا، الوقت متأخر، فلنؤجل هذا الأمر إلى وقت آخر.. تركها دون أن يرد عليها ودخل إلى غرفة نومه.. بدأ في تغيير ملابسه فسألته زوجته وهي تستعد للنوم:

- ألن تأكل؟

sa7eralkutub.com

فرد عليها بسخرية:

- لماذا تسألين؟ هل ستقومين بتحضير الطعام لي وأنت نائمة؟

أجابته وهي تضع عصابة على عينيها لتستطيع النوم في ضوء الغرفة:

- بالطبع لا.. لكني كنت سأخبرك بأن الطعام جاهز في المطبخ إذا كنت تريد الأكل.

سبها في سره هي ووالدها ونفسه ثم صعد جوارها على الفراش.. وبدأ صوت غطيطها يعلو وبدأت محاولاته المستميتة للنوم..

لا يدري متى استيقظ، لكن صوتًا خافتًا خارج غرفته أيقظه.. كأنها خطوات متأنية حذرة تسير على مهل مرت من أمام غرفته الآن وعلى الضوء الخافت الظاهر من أسفل الباب المغلق لاحظ الظل الذي مر.. هز مستيقظ منذ المرة.. نظر إلى الساعة الرقمية المضيئة بضوء خافت بجانب الفراش.. إنها الرابعة.. موعد الزيارة اليومية للشبح.. شيء جميل أن يزورك أحدهم باستمرار.. سوف يخرج إليه الآن.

هذه المرة كان بكامل وعيه، فتح باب الغرفة ببطء، لكن الباب أصدر صوتًا ضعيفًا.. من الجيد أن زوجته لم تستيقظ على أثره.. خرج من الغرفة.. مشى على مهل وقلبه يكاد يتوقف.. يصل إلى الصالة المضاءة بضوء خافت.. وفجأة..

sa7eralkutub.com

لا يجد أي شيء في الصالة الفارغة.. بها الأثاث كما هو، لكن ليس فيها أشخاص.. لا يدري ما الذي دفعه للنظر إلى حيث وجد اللعبة في الصباح.. لكنه لاحظ هذه المرة ذلك الظل المختبئ.. ظل طفل صغير.. جرى على مفتاح النور وأضاء الأنوار كلها.. ضغط على المفاتيح كلها.. كاد يبكي من الذعر وهو يصرخ:

- من أنت؟

صرخ «كرم» في الجالس أو المختبئ خلف الأريكة.. خرج «سامح» إليه وهو يرتعش.. أحس «كرم» بدوار عندما رآه وسأله بدهشة:

- ما الذي تفعله في هذا الوقت؟!

فأجابه الولد وهو خائف:

- لقد استيقظتُ وكنت خائفًا.. الغرفة مظلمة وكنت أريد الجلوس في النور.. الصالة هي المكان الوحيد المضاء بالشقة.. ماما تمنعني من النوم في النور.

أشفق «كرم» عليه وقال له:

- ولماذا كنت مختبئًا خلف الأريكة؟

فأجابه الولد:

- لقد اعتقدتك ماما.. لو علمتُ أني قمت من الفراش ستعاقبني.

sa7eralkutub.com

احتضنه «كرم» برفق وقال له:

- هيا بنا، سوف أنام بجانبك.

لم يصدِّق «سامح» أذنيه.. ثم أمسك يده في سعادة ليقتاده إلى غرفته.. أغلق «كرم» الباب على زوجته وهو في طريقه إلى غرفة الولدين التي كانت مظلمة تمامًا.. عندما دخلها لاحظ أن ابنته تضع الغطاء على وجهها.. أزاحه عن وجهها ليجدها مستيقظة.. سألها عن سبب استيقاظها فقالت له كلامًا مثل كلام «سامح».. قال لهما «كرم»:

- لا تخافا، سوف أنام معكما الليلة.

فنامت البنت في فراشها ونام هو بجوار «سامح».. كان «كرم» يفكر وهو نائم..

هذه السيدة سوف تصيب الولدين بالأمراض النفسية.

sa7eralkutub.com

شـــهود

استيقظ «كرم» على الوسادة التي طارت في الهواء ثم رست على وجهه وصوت زوجته الغاضب يسأله:

- ما الذي جعلك تنام هنا؟

جلس «كرم» على السرير وهو يردد:

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم..

لم يُجِب «كرم» عن سؤال زوجته فكررته ليرد عليها:

- لقد استيقظت الفجر فوجدت «سامح» مستيقظًا وخائفًا من النوم بمفرده فنمت بجواره.

بدأت زوجته في إلقاء محاضرة جديدة عن تربية الأطفال والنظام الذي وضعته هي واخترقه هو.. كان لا يستمع إليها كأنه يشاهد فيلمًا صامتًا.. خرج من الغرفة وهي ما زالت تتكلم فدخل الحمام وأغلق الباب في وجهها..

sa7eralkutub.com

وضع رأسه تحت الماء، كان يشعر بصداع وكأن رأسه سوف ينفجر، ثم أمسك بالمنشفة ليجفف رأسه.. خرج من الحمام والمنشفة على رأسه.. كانت زوجته لا تزال تتكلم.. إنها لا تتوقف عن الكلام.. عندما تبدأ لا تتوقف.

جلس على كرسي في غرفة النوم ووضع رأسه بين يديه وقال وهو موشك على البكاء:

- أنا آسف يا «نسمة».. لن أفعل ذلك مرة أخرى.

هنا فقط توقفت «نسمة» عن الكلام لبعض الوقت وهي تشعر أنها قد انتصرت وأثبتت وجهة نظرها.. ثم استطردت:

- عيد ميلاد «هدى» اليوم.. بالطبع لم تكن تتذكر.

فرد «كرم» بطريقة آلية كأنه الساعة الناطقة:

- كل عام وأنتم بخير.

فقالت له «نسمة»:

- سوف يقوم والدي بعمل حفلة لها في فيلته.. بالطبع سوف تأتي.

فسألها «كرم» بسخرية:

- منذ متى وأنت تهتمين بحضوري؟

فقالت «نسمة» بتحدٍ:

sa7eralkutub.com

- لأن والدي هو مَن سيقوم بعمل الحفل هذا العام.

فقال «كرم» بسخرية من جديد:

- منذ أن ترقى والدك وهو يجد الوقت لفعل ما يريد.

فقالت بغضب:

- ماذا تقصد؟

فأجابها «كرم» بهدوء حتى لا يثير حفيظتها:

- لا أقصد شيئًا.. أقصد أن أمامه أقل من عام ويخرج على المعاش، المهم.. سوف أحاول أن آتي.

أضافت هي بحزم:

- بل يجب أن تأتي.. سوف نبدأ في السادسة.

خرجت «نسمة» من الغرفة فقام «كرم» بسرعة وارتدى ملابس الخروج ثم هرع إلى الباب، وفي الطريق سلم على طفليه.. كان يريد الخروج من الشقة قبل أن تتحدث زوجته معه في موضوع آخر ويسمع محاضرة جديدة.. على باب العمارة كان «شحاتة»، البواب، ينظر إلى الأرض كأنه يبحث عن شيء ما.. قال له «كرم» ساخرًا:

- ما الذي وقع منك يا «شحاتة»؟

فنظر إليه البواب وقال في حيرة:

sa7eralkutub.com

- لم يقع مني شيء.. لكني لاحظت النمل الذي ظهر في العمارة فجأة.

فقال له «كرم» بلا مبالاة:

- وما الغريب في هذا الأمر؟ نحن في فصل الصيف.

فأشار «شحاتة» إلى سرب من النمل وهو يقول:

- لكني لاحظت أن النمل يفر من العمارة منذ يومين.

فسأله «كرم» بترقب:

- ماذا تعني بفرار النمل من العمارة؟

فرد «شحاتة» وهو في حيرة من أمره:

sa7eralkutub.com

- النمل يخرج من كل شق في أي حائط للعمارة.. كذلك القطط والكلاب التي كنت أطاردها طوال النهار لأبعدها عن السيارات والعمارة، اختفت ولم تعد موجودة.

فقال له «كرم» وهو يهز رأسه بعدم فهم لسبب توجس الرجل:

- هذه كلها أخبار جيدة.. لا تشغل بالك.

وتحرك نحو سيارته، لكن البواب قال له:

- «حمدي بيه» كان يريد رقم هاتفك.

توقف «كرم» وسأله وهو يزفر بملل:

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- من «حمدي» هذا؟

أجابه البواب وهو يرسم أكثر الابتسامات بلاهة واتساعًا:

- جار سيادتك في العمارة التي في ظهر عمارتنا.

رد عليه «كرم»:

- أولًا: هو في عمارة أخرى، فلا تقُل إنه جاري.. ثانيًا: ماذا يريد مني؟

حك البواب العمامة التي على رأسه وهو يجيبه:

- أظنه سيكلم سيادتك في المشكلة التي مع صاحب العقار.. فسيادتك تعلم أنهم مستأجرون.. ليسوا أصحاب ملك مثل سيادتك.. صاحب العقار يريد بناء مصنع بسطرمة فوق الـ...

صرخ «كرم» بغضب:

- عم «شحاتة».. أنا عندي عمل.. فليذهب للقسم ويشتك.

وبعد أن همّ بالانصراف عاد وقال له:

- أعطه رقم الهاتف.. إنه جارنا على الرغم من كل شيء.

فقال له «شحاتة» وعلى وجهه تلك الابتسامة العريضة:

- كنت أعلم أن سيادتك طيب القلب.

ابتسم «كرم» هذه المرة رغمًا عنه ثم تركه.. ركب سيارته واتجه إلى القسم؛ حيث كان جار القتيلة في انتظاره.

* * *

sa7eralkutub.com

جلس «عماد»، مهندس الاتصالات، أمام «كرم» الذي ظل يتأمله ويحاول أن يصنّفه.. كان «كرم» يعامل الناس كأنه أحد علماء علم الحيوان ويقوم بتصنيفهم.. كان يعرف أن لكل إنسان مفتاحًا لشخصيته، لكن يجب عليه أولًا أن يعرف نوعه.

عندما عرض عليه لفافة تبغ رفضها لأنه لا يدخن.. كان شابًا نحيفًا يرتدي عوينات طبية.. متزوج، لكن هذا لم يمنعه من أن يختلس النظرات لـ«مي» التي كان يعرفها جيدًا.. قال له «كرم»:

- سمعت أنك من أبلغ عن الحادث.

فرد «عماد» بصوت متهدج:

- أنا لم أفعل أي شيء ولم ألمس أي شيء، وعندما جئت سيادتك كنت موجودًا.. لكنهم قالوا لي إنكم عندما تحتاجونني سوف ترسلون في طلبي، وبمجرد أن عرفت أتيت على الفور.

كان يرتعش وقد أوشك على البكاء.. هذا الشاب لن يحتمل اللعب مع «كرم»، ولأن «كرم» لا يملك الوقت للعب قال له مطمئنًا إياه:

- لا تخف، أنت خارج نطاق المشتبه بهم.

ثم تذكّر أن عليه ألا يطمئنه أكثر من اللازم فأضاف:

sa7eralkutub.com

- حتى الآن.. لذلك أريدك أن تصف لي المشهد الذي رأيته بالضبط، ولا تنسَ أي شيء.

أخذ «عماد» نفسًا عميقًا ثم قال:

- أنا من عادتي أن أنزل الدرج على قدمي ولا أنتظر المصعد.. ويا ليتني لم أفعل.. كان باب شقة الأستاذة «مي» مفتوحًا و«مازن» يقف في الشقة عند الباب يمسك بالمقص.. كنت سأنزل دون أن ألتفت إليه، فقد اعتقدت أنها فتحت الباب لتنزل أو أي شيء من هذا القبيل، لكني لاحظت الدم على ملابس الولد ورأيت المقص.. اعتقدت أن الطفل كان يلعب بالمقص وأصاب نفسه، وكنت قد سمعت أن «مازن» يعاني اضطرابات نفسية.. خفت عليه فاقتربت منه وقلت له أن يعطيني المقص، لكنه وقف صامتًا.. دققت جرس الباب فلم يجبني أحد.. قال لي «مازن» بأن والدته مريضة وملقاة على الأرض وشدني لأدخل معه فوجدت المنظر الذي شاهدته سيادتك.. صرخت، لكن الغريب في الأمر أن «مازن» قال لي: «لا تخَف، سوف تكون بخير».. ناديت البواب ثم وقعت فاقدًا الوعي.. بعد قليل وصلت الشرطة وظل «مازن» جالسًا كما رأيته عندما أتيت.

سأله «كرم» دون أن ينظر إليه لأنه كان يتأمل الدوائر التي يصنعها بدخان لفافة التبغ:

- ماذا تعرف عن زوجها؟

sa7eralkutub.com

فأجابه «عماد»:

- لقد سكنت في الشقة منذ عامين.. كانت الأستاذة «مي» منفصلة فيهما عن زوجها.. أنا لم أرَه كثيراً ولا أعرف عنه أي شيء ولم أحاول أن أعرف.

أحس «كرم» أن هذا الشاب لا فائدة منه فقال له:

- حسنًا يا «باشمهندس».. تفضل الآن، ولكن ربما نحتاجك مرة أخرى.

فقام «عماد» فرحًا وهو يشعر أنه قد نجا من حبل المشنقة الذي هو في الأساس بعيد عنه وقال:

- تحت أمرك في أي وقت.

خرج «عماد» فنادى «كرم» على أمين الشرطة الواقف بالخارج وسأله عن الخادمة فأخبره بأنها موجودة منذ مدة طويلة فأمره بأن يدخلها..

كانت الخادمة قد وصلت قبل الجار بكثير.. لكن الفوارق الاجتماعية جعلت الجار يدخل أولًا.. ماذا سيضير الخادمة لو انتظرت؟ إنها خادمة على كل حال.. حتى في الشهادة تدخل الخادمة في النهاية.

كانت امرأة تخطت الخمسين.. ترتدي ثيابًا سوداء، ليس لموت سيدتها، لكنها العادة.. كذلك ترتدي طرحة خفيفة سوداء.. جلست أمام

sa7eralkutub.com

«كرم» وهي تبكي، سألها عن اسمها وسنها وعنوانها فأخبرته.. قال لها «كرم» من باب التودد:

- حسنًا يا حاجة «سيدة».. أريد أن أسمع منك.

فسألته وهي تتنحنح:

- ماذا تريد أن تسمع يا بيه؟

أجابها «كرم» بغضب مفاجئ:

- الرعد.. أو أقول لك: أغنية لأم كلثوم.. اعتبريني جارتك الثرثارة التي تجلسين معها واحكي لي ما تعرفينه عن سيدتك.

قالت له «سيدة»:

- حسنًا يا سيدي.. أنا مع سيدتي منذ أن تزوجت، لكني لا أبيت معها في الشقة.. آتي إليها كل يوم فأحضِّر الطعام وأرتب الشقة ثم أعود لبيتي.

* * *

لم تكن «مي» تحب «ممدوح»؛ لذلك كانت تتهرب من العلاقات الحميمة معه.. وهو يطلب ذلك الأمر منها كثيراً.. هي تتعلل بالطفل وهو لا يهتم سوى بتلبية رغباته.

sa7eralkutub.com

لم تكن «سيدة» بالساذجة كما تبدو، بل كانت تفهم كل ما يدور حولها.. كانت تعرف أن سيدتها على علاقة بشخص آخر وأن هذا هو السبب الحقيقي وراء نفورها من زوجها.

كان ذلك اليوم حيث كانت «سيدة» تجلس مع «مي» و«مازن».. كانت السيدتان تحاولان اللعب مع «مازن» الذي بلغ الرابعة وظهرت عليه علامات التأخر في التواصل مع الآخرين.

سمعتا صوت «ممدوح» ينادي على زوجته.. قامت «مي» وعينا الطفل تتبعانها.. وقف «ممدوح» على باب الغرفة وسأل الخادمة:

- كيف حالك يا «سيدة»؟

- بخير يا بيه.

فقال لزوجته:

- «مي».. أريدك في موضوع.

ذهبت «مي» معه إلى غرفة النوم وتركت باب الغرفة مفتوحًا.. جلس «ممدوح» على كرسي أمام المرآة وقال لها وهو ينظر إليها في المرآة:

- ما نهاية ما نحن فيه؟

ردت «مي» بهدوء:

- لقد قلت لك من قبل.. يجب أن ننفصل في هدوء.

sa7eralkutub.com

فقال لها «ممدوح» بتوتر:

- اطلبي أي شيء غير هذا.

فقالت بالنبرة الهادئة نفسها:

- هذا مطلبي الوحيد.

دار وهو لا يزال على الكرسي ليواجهها:

- أنا لا أستطيع الحياة من دونك.

ردت عليه هذه المرة بطريقة فيها بعض الشفقة:

- سوف تعتاد الأمر.

قال لها والدموع تترقرق في عينيه:

- يبدو أنك مصرة.

- لو لم أكن واثقة من مطلبي لما طلبته.

سألها في خضوع:

- أليس هناك أي أمل؟

هزت رأسها بالنفي.. فجأة تحوّل «ممدوح» من حمل وديع إلى ذئب شرس.. قام وألقى بزوجته على السرير وأغلق الباب بقوة.. سمعت «سيدة» صوت الصراخ من داخل الغرفة لكنها لم تجسر على الاقتراب.

* * *

قالت «سيدة» لـ«كرم»:

sa7eralkutub.com

- لم تكن هذه هي المرة الأخيرة التي يعتدي فيها عليها، وبعد أن ينتهي يبكي ويعتذر وينزل إلى الشارع.. تكرر هذا الحادث عدة مرات حتى أخبرها ذات مرة أنه قرر البقاء عند والده حتى يجدا حلًا لمشكلاتهما.

سألها «كرم»:

- هل تعتقدين أن «ممدوح» كان غاضبًا منها لدرجة قتلها؟

فأجابته «سيدة»:

- لا أعرف يا بيه.. لقد ساءت حالته جدًا عندما علم بأمر مرض «مازن».. كان قبلها على خلاف مع الهانم، لكنه بعد مرض «مازن» تحوّل تمامًا.

عاد «كرم» يقول لها:

- ما الذي حدث بعد أن ترك لها البيت؟

ردت الخادمة:

- لا شيء.. صار يأتي كل فترة ليرى «مازن» ويطمئن عليه.. لكن سيدتي لم تكن تُدخله إلا وأنا موجودة.

فسألها «كرم» وهو يعزم عليها بلفافة تبغ:

- هل كنت ليلة الحادث عند سيدتك؟

sa7eralkutub.com

نظرت «سيدة» إلى لفافة التبغ بتعجب وهي ترد عليه:

- نعم.. لقد جاء «ممدوح بيه» فتغدى مع «مازن» ولعب معه قليلًا ثم رحل.. فور رحيله طلبت مني سيدتي الذهاب، طلبت منها أن أنظف مكان الغداء لكنها أصرت أن أرحل على الفور.

فقال لها «كرم» مفسرًا:

- ربما لم تردك أن تري «عمرو».

فهزت الخادمة رأسها كناية عن عدم الاقتناع وقالت:

- لا أظن ذلك.. لقد جاء أكثر من مرة وأنا هناك.. كان يجلس في غرفة الضيوف بمنتهى الاحترام حتى أنزل.

فعاد يسألها:

- بماذا تفسرين إذًا إصرارها على رحيلك السريع؟

فأجابته «سيدة»:

- ربما كانت تريد أن تخبره بشيء لا تريدني أن أعرفه.

فقال لها «كرم»:

- لو كان الأمر كذلك لانتظرت حتى ترحلي وتخبره.

فعادت الخادمة تقول:

- ربما كان أمرًا لا يحتمل التأخير.

أحس «كرم» أنها كانت تلمح لشيء ما فقال لها:

sa7eralkutub.com

- لو كنت تعرفين شيئًا قولي مباشرة.

فقالت الخادمة بعد أن استجمعت شجاعتها:

- في الأيام الأخيرة كانت سيدتي متعبة بشدة.. قيء مستمر.. دوار.. عدم رغبة في الأكل.

اتسعت عيناه وقال لها:

- نفسها تغم عليها وتريد «حرنكش»! تقصدين أنها حامل؟!

فقالت له «سيدة» وهي تصنع دائرة فوق رأسه لتحميه من الحسد:

- ما شاء الله عليك.. تفهمها وهي طائرة.. لكنك تعرف أن زوجها لم يقربها منذ مدة طويلة.

فعاد يسألها:

- هل علم زوجها بأمر الحمل هذا؟

فأجابته الخادمة:

- لا أظنه عرف.. ولو عرف...

سكتت وقد فهم «كرم» مغزى الكلام.. فعاد «كرم» يسألها:

- هل ذهبت «مي» إلى الطبيب؟

فأجابت الخادمة بالإيجاب.. فعاد يسألها:

- هل تعرفينه؟

sa7eralkutub.com

فأجابته «سيدة»:

- أنا لا أعرفه، لكني أظن أن «نورهان هانم» ذهبت معها.

إذًا عليه أن يتحدث مع تلك المخبولة مرة أخرى.. ترك «كرم» الخادمة تنصرف.. لم ينتظر حتى يرسل في طلب «نورهان» مرة أخرى، سيكتفي بمكالمة هاتفية.. طلب رقم الهاتف الموجود معه لها.. رن الهاتف عدة مرات قبل أن ترد بصوت ناعس لتسأل عن المتصل فأجابها:

- أنا المقدم «كرم»، المسئول عن...

قاطعه صوت عويلها وبكائها.. هذه الفتاة قادرة على جلب الدموع في أي وقت تريد.. كان «كرم» يفكر في رصيده الذي سينتهي قبل أن يعرف منها أي شيء.. فقال لها كأنه يعرف حتى لا تجد فرصة للكذب:

- لماذا لم تخبريني بأمر حمل «مي»؟

انقطع البكاء فجأة وقالت له بدهشة:

- كيف عرفت؟

فأجابها «كرم» بفخر:

- نحن لا يخفى عنا أي شيء.. لماذا لم تخبريني بهذا الأمر على الرغم من أهميته؟

فردت عليه «نورهان»:

sa7eralkutub.com

- حضرتك تعلم أنها كانت منفصلة عن زوجها.. ليس هناك داعٍ للفضائح بعد...

لم تكمل «نورهان» وأجهشت بالبكاء.. لقد عرف ما يريد وتأكد.. فقال لها:

- حسنًا.. متشكر يا «نورهان».. مع السلامة.

فقالت له قبل أن يغلق الخط:

- انتظر.. أريد أن أقول لك شيئًا ما دمت قد عرفت.

فسألها «كرم» بسرعة قبل أن ينتهي الرصيد:

- ما هو؟

فأجابته «نورهان»:

- لحظّ «مي» العاثر، كنت في النادي في اليوم التالي لذهابي معها إلى الطبيب.. قابلت «ممدوح» هناك.. جلس معي كعادته يتوسل إليّ كي أتوسط بينهما للصلح عندما مر طبيب «مي» بجانبنا.. سلّم علينا وقال له:

- مبروك يا «ممدوح بيه» لقد جاءت المدام ومعها آنسة «نورهان».. المدام بخير والجنين بخير.

sa7eralkutub.com

لم يكن الطبيب يعرف أي شيء عن المشكلات التي بينهما، خاصة بعد أن رأى سعادة «مي» الشديدة بالحمل.

سألها «كرم» بلهفة:

- كان «ممدوح» يعرف بهذا الأمر؟

فأجابته «نورهان»:

- عرف من الطبيب في صباح يوم...

لم تكمل لأنها كانت منشغلة بالبكاء.. فأغلق «كرم» الهاتف في وجهها لأنه كان منشغلًا بالتفكير ولأن الرصيد قد انتهى.

* * *

يمكن لـ«كرم» أن يتجاهل أوامر الوزير لكن لا يمكنه أن يتجاهل أوامر «نسمة»، خاصة عندما تكون بتلك الجدية.. وصل «كرم» إلى فيلا والد زوجته بعد السادسة بقليل.. كان هناك الكثير من الأطفال في الحديقة الصغيرة الخاصة بالفيلا.. رجل يرتدي زي شخصية أطفال من المفترض أنه يلهو معهم، لكن الأطفال حوّلوه إلى أداة تدريب قتالية.. هذا يركله وذاك يكيل له اللكمات.. انتهى عصر الأطفال الذين يخجلون من هذه الأشياء أو يخافون منها.. أولياء الأمور الذين جاءوا لنفاق الجد محملون بالقرابين.. «نسمة» التي أظهرت حنانًا غير عادي على طفليها..

sa7eralkutub.com

بمجرد أن رأته أقبلت عليه وهي تبتسم على غير عادتها، قالت له بصوت خافت:

- هل أحضرت الهدية لـ«هدى»؟

كان من الواضح أنه خالي الوفاض فلم يرد على سؤالها فقالت له بلوم:

- كنت أعرف أنك ستنسى.

فقال لها باستفزاز:

- ما دمتِ بهذه العبقرية فلماذا تسألين؟

فردت عليه باستفزاز مماثل:

- كنت أريدك أن تخيّب ظني.

رد عليها بسخرية:

- قلبي الصغير لا يتحمل أن يخيب ظنك.

أعطته علبة في يده بعنف وهي تقول:

- خذ.. هذه هديتك للبنت.

أعطته علبة بها لعبة لم يعبأ بمعرفة ماهيتها.. سوف يعطيها للبنت وينتهي الأمر.. ذهب «كرم» ليسلّم على والد زوجته الذي كان جالسًا

sa7eralkutub.com

يستمع لنفاق من حوله في استمتاع.. عندما رأى «كرم» قال لهم في فخر وهو يشير إليه:

- «كرم»، زوج ابنتي، إنه من أفضل الضباط في المديرية.. على الرغم من أنه زوج ابنتي فإنه لا يستغل نفوذي.. إنه أفضل ضابط لديّ، علّمته كل شيء بنفسي.. ماذا فعلت في القضية التي معك؟

فرد «كرم» على الفور بلهجة جادة:

- لا أستطيع حلها حتى الآن.

أحس الرجل بالإحراج وكأن هناك من يريد أن يقول له «كبسة»، لكن الرجل قال من باب المداراة:

- بالتأكيد سوف تحلها سريعًا.. أنتم لا تعرفون أصل القضية...

فقاطعه «كرم» بسرعة:

- النشر ممنوع في هذه القضية.

إحراج للمرة الثانية.. قال الرجل ليداريه من جديد:

- لا، لم أكن سأحكي عن تلك القضية، بل كنت سأحكي عن القضية الأخرى التي هي غير... هيا نطفئ الشمع.

لكن «نسمة» أصرت أن ينتظروا حتى يحل الظلام..

مرت الساعات على «كرم» مملة بطيئة حتى جاء القرار السامي بإطفاء الشموع.. أظلمت الحديقة إلا من ضوء الشموع و«سنة حلوة يا

sa7eralkutub.com

جميل» و«أبو الفصاد»، و«كرم» يريد أن ينام.. ينظر إلى الأطفال في ملل ويتساءل:

- ما الذي أتى بـ«مازن» هنا؟

«مازن»!

لقد لمحه بين الأطفال على ضوء الشموع.. ترك ابنته وانطلق بين الأطفال حيث رآه.. أخذ صفعة من سيدة في الظلام وضع يده على ظهرها وهو يبحث بين الأطفال.. صوت صراخ السيدة جعلهم يتوقفون عن الغناء.. ينزلق «كرم» على الأرض ويسمع صوت والد زوجته يأمرهم بإضاءة المكان.. كان على وشك أن يقول: سلّم نفسك.. المكان كله محاصر. بالتأكيد سوف يتم القبض على أحدهم في تلك الأجواء..

عندما عادت الإضاءة كان المشهد غريباً؛ فـ«كرم» واقع على الأرض بعيداً عن المكان الذي كان يقف فيه عند بداية وقوفهم حول المائدة.. السيدة إلى جواره تعدل جيبتها التي أمسك بها وهو يقع بعد أن أخذ كفًّا على قفاه..

- ماذا تفعل يا «كرم»؟

سألته زوجته بمزيج من الغضب والدهشة فردَّ عليها وهو شارد الذهن:

sa7eralkutub.com

- لقد رأيته.. لقد كان هنا.

عادت زوجته تسأله:

- من الذي كان هنا؟

أفاق «كرم» من شروده.. بالتأكيد لن يخبرها عن الطفل الذي يطارده فقال لها وهو يحاول تلفيق أي كذبة:

- لقد ظننت أني رأيت كلبًا.. لقد خفت على الأطفال.

فقالت «نسمة» للسيدة:

- أنا آسفة يا «جي جي».. أظنه متعبًا قليلًا.

بالطبع كان هذا اعترافًا ضمنيًا بخبله أو بمعاكسته لها.. عندما نظر «كرم» لـ«جي جي» حزن حزنًا شديدًا ولعن «مازن» ألف مرة.. لو كانت جميلة لكان الأمر هينًا.. قال لنفسه بأسى:

- لم يجدوا غير هذا الجِوَال ليتهموني فيه.

* * *

«عبير».. فتاة طيبة.. مصرية أصيلة.. من نوعية الفتيات اللاتي لا يفتحن المقص لأنه يجلب النحس، ولا يتركن الحذاء المقلوب لأن ذلك يجلب الشياطين، ولا يتكلمن في الحمام لأن هذا أفضل طريقة لاستدعاء الجن، كل من تكلم وهو في الحمام قبلها خرج إليه مارد من مردة

sa7eralkutub.com

الشياطين وأخذه معه، لا يمكننا بالطبع أن نسألها من أين خرج أو إلى أين أخذه!! المهم أن هذا هو اعتقادها..

من الغريب أن تعمل «عبير» بالذات في تلك المصحة.. لو تطورت حالتها - التي تتطور بالفعل بسرعة - فمن الممكن أن تكون إحدى المريضات وليست الممرضات.

في تلك الليلة، كانت «عبير» هي المسئولة عن «مازن».. هي لم تكن تحب ذلك الطفل.. كانت تخشاه لسبب لا تعرفه.. لكنها على كل حال تخاف من كل شيء وتخشى كل شيء بلا سبب..

تدخل غرفة «مازن» فلا تجده.. تخرج مسرعة من الغرفة وتتردد في إيقاظ المخبر الذي كانت وظيفته النوم أمام باب الغرفة..

تذهب مسرعة إلى كبيرة الممرضات وتخبرها عن اختفاء الولد.. كانت «دولت» كبيرة الممرضات ورئيسة التمريض وأكبر الممرضات سنًا وحجمًا كذلك.. خرجت «دولت» من المكتب بسرعة وانطلقت إلى الغرفة التي كان من المستحيل الخروج منها دون أن يشعر أحد.. بالطبع ذلك المخبر الذي بدأ البعض يظن أنه ميت ليس في الحسبان.. دخلت «دولت» الغرفة..

sa7eralkutub.com

اعتقدت أنها سوف تجده مختبئًا تحت الفراش.. لكنه لم يكن حيث توقعت..

بل كان جالسًا على الفراش بهدوء.. نظرت «دولت» بعتاب إلى «عبير» وقالت لها بلوم:

- ربما كان يلعب تحت الفراش ولم تنتبهي.. تأكدي قبل أن توقعي قلبي بين قدمي في المرة المقبلة.

هزت «عبير» رأسها وقالت لها بخجل:

- آسفة.. لكني توترت لأهمية الطفل.

فقالت لها «دولت» وهي تخرج من الغرفة:

- أعطيه الدواء ولا تتركي الغرفة حتى ينام.. سوف أمر عليكما بعد قليل.

خرجت «دولت» من الغرفة، فذهبت «عبير» إلى القابس وأضاءت النور؛ حيث كان هناك إضاءة خافتة دائمة في الغرفة لكنها لم تكن كافية لتعطي «مازن» الدواء عليها.

توقعت «عبير» أن «مازن» سوف يحتاج لبعض الوقت حتى يقتنع بأخذ الدواء، لكنه على العكس أخذه على الفور.. فقالت له «عبير»:

- هيا بنا يا «مازن» حتى ننام الآن.

رد عليها «مازن» دون أن ينظر إليها:

sa7eralkutub.com

- أريد أن ألعب معك قليلًا.

كانت «عبير» مُتعَبة وتريد النوم، لكن لا يمكنها الذهاب قبل أن ينام.. فسألته باستسلام:

- وماذا تريدنا أن نلعب؟

ابتسم «مازن» وقال لها:

- لعبة عيد الميلاد.

تعجبت «عبير»؛ لأن هذه هي أول مرة يطلب منها طفل هذه اللعبة.. لكنها كانت لعبة بسيطة.. سوف يقومان بتمثيل أنهما في عيد ميلاد.. الكعكة أمامهما يطفئان الشموع.. والجميع سعداء..

«مازن» يلعب اللعبة حتى ينام.. تغطيه «عبير» وترحل فرحة لأنها أخيرًا سوف تنام.

sa7eralkutub.com

تقرير ودليل

كان «كرم» في طريقه إلى القسم في الصباح، كان منزله على أطراف القاهرة، وعليه أن يسير في طريق سريع، لم ينم جيدًا ليلة أمس بعد ما ظن أنه رآه في عيد الميلاد، ظلت «نسمة» طوال الليل تنظر إليه نظرات شك وفضول، كان يقود السيارة وهو شارد الذهن عندما لمحه على الأريكة الخلفية ينظر إليه مبتسمًا في ثقة وهدوء..

للحظة، ظن أنه رأى «مازن» جالسًا في السيارة، التفت فجأة إلى الوراء ليجد أن الأريكة الخلفية فارغة، لكن تلك الالتفاتة كانت كافية حتى تفقد السيارة توازنها ويجد نفسه في طريقه للاصطدام بسيارة كانت أمامه، حاول «كرم» أن يتفاداها ليجد سيارة أخرى للنقل، ضخمة قادمة عن يمينه تطيح بسيارته وتقلبها على الأرض..

لم يكن الاصطدام قويًا، لكنه كان كافيًا حتى يفقد «كرم» وعيه، ويلمح «مازن» مرة أخرى في مكان ما.

* * *

عندما عاد إلى «كرم» وعيه كانت سيارات الشرطة والإسعاف قد وصلت، لم يكن به إلا بعض الكدمات، السيارة أخذت الجانب الأكبر من

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

الخسائر، قام «كرم» من على المحفة فحاول المسعف أن يمنعه لكنه دفعه، هرول إلى أقرب ضابط رآه وقال له بلهجة آمرة:

- أعطني هاتفك بسرعة.

نظر إليه الضابط بمزيج من الدهشة والاستنكار فعرّفه «كرم» بنفسه، كان الضابط أقل في الرتبة من «كرم»، فأعطاه هاتفه على الفور وهو يقول له:

- تفضل يا باشا.. تحت أمرك.

طلب «كرم» رقم اللواء «فتحي»، والد زوجته، لم يطل انتظاره حتى أجابه:

- أهلًا بك يا «كرم»، كيف حالك؟

أجابه «كرم» على الفور:

- لقد تعرضت لحادث سير.

سمع «كرم» الكثير من الشهقات والتأوهات وأشياء أخرى لم يفهمها، لكنه لم يترك له الفرصة حتى يكمل ذلك، طمأنه عليه وطلب منه سيارة تكون تحت تصرفه؛ لأن سيارته يبدو أنها ستحتاج إلى الكثير من الوقت حتى تتعافى، طلب منه كذلك ألا يخبر أحدًا بالحادث؛ فهو معافى ولا يريد أن يُقلق أحدًا عليه.

sa7eralkutub.com

* * *

وصل تقرير التشريح لجثتي القتيلين.. ماتا نتيجة الطعن بآلة حادة.. المفاجأة أن المقص ليس أداة الجريمة.. تم الطعن بآلة حادة أقل سمكًا من المقص.. سكين على الأرجح.. بعد أن قتلهما القاتل جرّدهما من ملابسهما وقام بعمل ذلك القطع في جانب القتيلة بالمقص الذي وجدوه مع الولد.

لقد تعقّدت القضية، وهي في الأساس معقدة.. الآن سوف نستبعد «مازن».. حتى لو كان القاتل كيف يمكن أن يقوم بتجريدهما من ملابسهما؟ هذا الأمر يحتاج إلى شخص بالغ.. هل بالفعل يحتاج الأمر إلى شخص بالغ؟

الآن أمامنا احتمال أن يكون القاتل هو «ممدوح»، لكن كيف دخل؟ ليس صعبًا عليه أن يحصل على مفتاح الشقة.. لقد غيّرت «مي» المفتاح بعد رحيله، لكن ليس صعبًا أن يحصل على نسخة من المفتاح.. لم يجدوا بصماته في غرفة النوم.. لأنه كان يرتدي القفاز.. لكن يجب أن أجد دليلًا دامغًا أو أداة الجريمة أو يريحني فيعترف.. كذلك كان يفكر «كرم»..

الجريمة كان الغرض منها الانتقام من الزوجة.. عليه القيام بزيارة جديدة إلى المصحة لرؤية «مازن»؛ لعله يتفضل عليه بأي معلومة جديدة..

sa7eralkutub.com

في الطريق إلى المصحة، اتصلت به زوجته، فاستعاذ بالله ورد عليها.. بالتأكيد سوف تخبره بمصيبة جديدة:

- ألو.. هل هناك شيء ما حدث للولدين؟

سمع صوت زوجته هادئًا على غير المعتاد:

- لا.. نحن جميعًا بخير.. أنا فقط أطمئن عليك.

تطمئن عليّ! لا بد أنها مريضة أو والدها مات.. فكّر «كرم» قليلًا وظن أنه أخطأ السمع، لكنه بعد صمت قصير رد عليها:

- أنا بخير.. كيف حالك أنتِ؟

أجابته بصوت ناعم وطريقة رقيقة لم يعهدها، وكأنها توشك على البكاء:

- أنا بخير.. لكن بصراحة والدي أخبرني بالحادث الذي تعرضت له اليوم.

رد عليها «كرم» بمودة:

- لا تخافي.. أنا بخير وقد طلبت منه ألا يخبر أحدًا.. هل ستذهبين إلى أي مكان اليوم؟

أجابته «نسمة» التي أصبحت رقيقة فجأة وكأن فيروس الرقة قد أصابها على حين غفلة بعد أن علمت ما حدث له:

sa7eralkutub.com

- لا.. سوف أجلس مع الولدين، أشعر بأني أحتاج لقضاء اليوم معهما، أنا أريد أن أطمئن عليك، ما حدث لك بالأمس واليوم يقلقني عليك.

لم يعد «كرم» قادرًا على التصديق عند هذا الحد.. دعا لها بالهداية وفكر في أنه لو كان قد تعرض لهذا الحادث منذ سنوات كانت حياته ستختلف، هل يجب أن نتعرض للمحن حتى نعرف المنح التي نملكها؟!

قال لها «كرم» فرحًا:

- العمل اليوم قليل.. سوف أنتهي منه وأعود مبكرًا لأقضي اليوم معكم.

فسمع صوت زوجته يردد في سعادة:

- حسنًا.. سنكون في انتظارك.

أغلق الهاتف وهو يشعر بحنين لبيته لم يشعر به منذ فترة طويلة.. كان البيت دائمًا يمثل له مكانًا مناسبًا لنوم مجاني، لا أكثر من ذلك..

ذهب مسرعًا إلى المصحة التي باتت زيارتها من أعماله اليومية.. قبل أن يترجّل من السيارة لاحظ «ممدوح» يخرج بسرعة من الباب الرئيس وعلى وجهه علامات الغضب والتوتر.. لا يدري لماذا اختبأ في السيارة حتى لا يراه، لكن حدسه أمره بذلك.

sa7eralkutub.com

حالة توحد

عندما ذهب «ممدوح» بسيارته نزل هو من السيارة وذهب حيث غرفة «مازن».. كان «مازن» قد عاد إلى غرفته بعد أن استقرت حالته..

قال لأحد المخبرين:

- ماذا كان يفعل «ممدوح» هنا؟

نظر إليه المخبر ببلاهة وقال:

- «ممدوح» من؟

فقال له «كرم» بغضب:

- «ممدوح» أم... أقصد «ممدوح» والد الطفل الذي بالداخل.

فقال له المخبر وهو يبتسم بسعادة بلهاء من جديد:

- «مازن»؟! لم يزُره أحد منذ أن دخل المصحة!

سأله «كرم» بشك:

- هل أنت متأكد؟

رد عليه الرجل وقد أحس بالخطر:

- والله العظيم يا بيه من غير ضرب.. اسأل «سعد بيه».

«سعد» التائه في «جمالات»! دعه في خيبته الثقيلة.. دخل «كرم» الغرفة ليجد «جمالات» تتحدث مع «مازن» وتلعب معه، بينما «سعد» يشاهدها في انبهار كأنها «محمود مختار» ينحت تمثال نهضة مصر.. لم

sa7eralkutub.com

يلتفت إليه أحد.. شعر «كرم» بالإهانة والغيظ لعدم اهتمام أحد به، فقال لنفسه:

- يبدو أن «سعد» جُنَّ من الجلوس معهم و«جمالات» هذه «عبيطة» هي ومن سماها بهذا الاسم و«مازن» هذا..

- «كرم».. كيف حالك؟

كان «مازن» قد قفز فجأة ووقف أمامه وهو يسأله عن حاله فأخرجه من تأملاته التي كان معظمها سبًّا للجالسين بالغرفة.. كان «مازن» يبتسم ببلاهة هذه المرة.. بلاهة تناسب طفلًا صغيرًا فابتسم «كرم» هذه المرة وهو يرد عليه:

- بخير.. كيف حالك أنت؟

تغيرت ملامح الصبي فجأة وقال له بصوت صارم:

- أريد الهاتف.

فسأله «كرم» وهو يلاعبه:

- أي هاتف يا حبيبي؟

فاستطرد «مازن» بلهجة جادة وقد اختفت ابتسامته:

- ابحث عن الهاتف.

ثم عاد إلى لعبه مع الطبيبة و«كرم» ينادي عليه:

sa7eralkutub.com

- «مازن».. يا «مازن».. أي هاتف يا بني؟! الله يخرب بيتك أنت والهاتف!

نظرت إليه «جمالات» بعتاب واشمئزاز، بينما ادعى «سعد» أنه أول مرة يسمع ذلك الدعاء.. فنظر إليه «كرم» وقال له بصوت مرتفع حتى يُسمع الطبيبة:

- لا يجب أن تدَّعي أنك محترم.. أنت طوال النهار تسب العساكر.

لم يكن «سعد» يفعل ذلك لأنه كان بالفعل طيب القلب حدَّ السذاجة، لكن «كرم» كان يريد إحراجه، وقبل أن يحاول الدفاع عن نفسه سأله «كرم»:

- ألم ترَ «ممدوح» اليوم؟

أجابه «سعد» وهو يختلس النظر إلى «جمالات» حتى يرى تأثير كلمات «كرم» عليها:

- لم أرَه منذ أن دخل «مازن» المصحة.

فردَّ عليه «كرم» مفكرًا وهو يُخرج لفافة تبغ ثم تذكر أن التدخين ممنوع:

- لكني رأيته اليوم خارجًا من المصحة وأنا داخل.. هو لم يرني وأريد أن أعرف ماذا كان يفعل هنا.

sa7eralkutub.com

فقال له «سعد»:

- ربما أتى لزيارة مدير المصحة.

رد عليه «كرم» ساخرًا:

- على أساس أن زيارة مدير المصحة شيء يجلب البهجة والسرور للنفس البشرية! جاء ولم يزُر «مازن»! هناك شيء مريب في هذا الأمر.. على العموم سوف أذهب لأسأل المدير.

كانت الطبيبة لا تزال مشغولة مع «مازن» ولم تلتفت إليه أو تتحدث معه.. خرج «كرم» من الغرفة وتوجه إلى غرفة المدير فدخلها كعادته دون استئذان.. لم يعلق المدير على دخوله دون استئذان هذه المرة وقال هو له:

- ماذا كان يفعل «ممدوح» هنا اليوم؟

فأجابه المدير:

- بالتأكيد جاء لزيارة «مازن».. هل زيارة «مازن» ممنوعة؟

فرد «كرم» بحدة:

- لا يا سيدي، زيارته ليست ممنوعة.. لكن «ممدوح» لم يزُره.

فسأله المدير:

- هل أنت متأكد أنه كان هنا؟

أجابه «كرم» بحزم:

sa7eralkutub.com

- نعم، وأخشى أن يكون قد أتى ليس لزيارة الطفل، بل ليتخلص منه.

كست الدهشة ملامح المدير وهو يقول:

- لا.. لا.. الأمر ليس كذلك بالتأكيد.. لماذا يتخلص من ابنه؟

فأجابه «كرم» بشكوكه:

- ربما هو غير متأكد من أنه ابنه.. ربما هذا الطفل هو الشاهد الوحيد الذي سيقودنا إلى القاتل.. ربما..

وتذكر فجأة كلمات «مازن» الأخيرة له (ابحث عن الهاتف).. إنهم لم يجدوا هاتف القتيلة حتى الآن.. لو كان الغرض من القتل السرقة لما فعل القاتل بالجثة ما فعل.. ربما كان القاتل قد سرق الكثير من الأشياء الأعلى قيمة من الهاتف.. الهاتف موجود وله أهمية، والطفل يعرف ذلك..

- بعد إذنك.. لقد تذكرت شيئًا مهمًا.

خرج «كرم» مسرعًا إلى غرفة «مازن»؛ حيث لا تزال «جمالات» تلعب معه بطريقة علاجية و«سعد» ينظر إليها في بلاهة.. قال له «كرم»:

- هيا بنا يا «سعد».

فسأله «سعد» بلهجة معترضة لأنه كان يريد مراقبة «جمالات»:

- إلى أين؟

فنظر «كرم» إلى «مازن» وقال وهو يبتسم:

sa7eralkutub.com

- سوف نبحث عن الهاتف.

- أي هاتف؟

- أنا و«مازن» نعرف.. أليس كذلك يا «مازن»؟

فابتسم «مازن» ولم يرد.

* * *

انطلق «كرم» بسيارته و«سعد» في المقعد إلى جواره كئيب لا يتكلم.. كان «كرم» يعرف أنه كان يريد البقاء مع «جمالات».. كان يمكنه السخرية منه، لكنه لم يكن في مزاج يقبل ذلك.. لم يستغرق الكثير من الوقت في الوصول للمنزل الذي انتفض حارسه عندما رآه وأدى له التحية.. كان «تامر»، البواب، يحاول أن ينسى الليلة التي قضاها في القسم، لكن «كرم» ذكّره بها عندما رآه.. قال له وهو يدخل العقار:

- كيف حالك يا «كرم» باشا؟ أي خدمة؟

رد عليه «كرم» وهو يشيح عنه بوجهه:

- اصمت ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

ابتلع البواب لسانه وحمد الله أنه لم يأخذه على القسم بتهمة إلقاء السلام عليه.. صعد «كرم» الدرج ومن خلفه «سعد».. الدور الثاني قريب، لكن «سعد» كان يلهث كأنه صعد برج القاهرة..

- ألم يكن من الأفضل الصعود في المصعد؟

sa7eralkutub.com

قالها «سعد» وهو يلهث على باب الشقة، فرد عليه «كرم» وهو يخرج المفتاح الذي تحفَّظ عليه بعد الجريمة:

- لقد أصابك الجلوس لمراقبة «جمالات» طوال النهار بالكساح الديكي.. بعد قليل سوف تصيح في الفجر.

أزاح «كرم» الشمع الأحمر وأدخل المفتاح بالباب.. قابلتهما رائحة العطن المميزة للشقق التي لم تُفتح لأيام.. كانت جميع النوافذ مغلقة.. دخل «كرم» ومن خلفه «سعد».. قال «كرم» وهو يرتدي القفاز:

- هيا بنا إلى غرفة النوم.. سوف نبدأ البحث من هناك.

دخلا غرفة النوم.. كان أثر الدماء لا يزال على الأرض.. بالطبع البحث يبدأ من الأدراج.. أفرغا محتويات الأدراج.. ثم بحثا تحت الفراش.. حتى دولاب غرفة النوم الثقيل لم يسلم من البحث فوقه وخلفه، وبالطبع داخله.. لم يجدا الهاتف..

- ربما سرقه القاتل.

قالها «سعد» حتى ينهي البحث الممل الذي استمر قرابة الساعة.. فردَّ عليه «كرم»:

- لم تكن السرقة هي الدافع وراء القتل.. لو أخذ القاتل الهاتف سيكون لغرض آخر.

sa7eralkutub.com

سأله «سعد» بتعجب:

- ماذا سيكون هذا الغرض؟! أنت تسير وراء كلام «مازن»!

فكر «كرم» قليلًا ثم قال له وقد جاءته فكرة:

- أنت على حق.. لقد بحثنا في الغرفة الخطأ.. يجب أن نبحث في غرفة «مازن».. هيا بنا.

ذهب «سعد» خلفه في فتور.. بدآ البحث.. كان «كرم» يبحث في لعب «مازن» ثم انتقل إلى دولابه ثم تحت الفراش ثم أزاح الوسادة والمرتبة.. بينما كان «سعد» يدّعي أنه يبحث.. لم يجدا أي شيء..

- لا فائدة.. لن نجد أي شيء.

قالها «سعد» في يأس، فردَّ عليه «كرم» بغضب وهو يضربه بالوسادة.. هذه الحركة - ضرب الوسادة - تعلّمها «كرم» من زوجته:

- بوجهك النحس هذا لن نجد أي شيء.. هيا نبحث في الصالة.

سمع «كرم» تأوّه «سعد» من الضربة فنظر إليه بدهشة.. هل القطن يؤلم إلى هذا الحد! قال له «سعد»:

- هناك شيء معدني في الوسادة.

أسرع «كرم» إلى الوسادة فأدخل يده في غطائها.. فوجده بين يديه.. الهاتف.. قال «كرم» بفرح:

sa7eralkutub.com

- لولا سماجتك لما وجدناه.. يجب أن نرسله إلى المعمل الجنائي لرفع البصمات التي عليه لو كانت عليه بصمات.

قال له «سعد» بدهشة وهو لا يزال ممسكًا بوجهه:

- ترى من الذي خبّأه هنا؟!

فأجابه «كرم»:

- أظنه «مازن».

فعاد «سعد» يقول له:

- إذا كان «مازن» هو الذي خبّأه، فلماذا يطلب منك أن تجده؟

فكر «كرم» قليلًا ثم قال:

- لعله يريد اللعب معي.

فقال له «سعد» بسخرية:

- لأن اسمك جميل! لا أظن الأمر كذلك.. هذا الولد فيه شيء غريب.. أنت تعتقد أنني أجلس هناك لمراقبة «جمالات».. أنا لا أنكر أن هذا الأمر يأخذ جانبًا كبيرًا من الوقت.. لكني أيضًا أراقب الطفل.. هذا الطفل ليس طبيعيًا.

فقال له «كرم» بملل:

sa7eralkutub.com

- وما الجديد في ذلك؟ إنه مصاب بالتوحّد.. يبدو أنني سوف أفتح عيادة أمراض نفسية بعد هذه القضية.

لكن «سعد» قال له بخوف لم يستطع أن يخفيه:

- إذا كان من أعراضه أن يتكلم مع نفسه بصوتين مختلفين.. ويكون بينهما حوار كامل.. لا مشكلة.. الغريبة أنه لم يفعل ذلك ولا مرة أمام الطبيبة.. بل عندما يلحظ مراقبتي له يعود لطبيعته.

سأله «كرم»:

- ألم تخبر الطبيبة بملاحظتك؟

نظر إليه «سعد» باستنكار وقال:

- أخبرها بماذا: بأنني أظن أن ذلك الولد ممسوس؟! ماذا ستقول «جمالات» عني؟

sa7eralkutub.com

الوالد

أرسل «كرم» الهاتف للمعمل الجنائي لرفع البصمات وطلب منهم إعادته إليه مع التقرير..

في أثناء عودته للمنزل اتصل به الطبيب المسئول عن حالة «عبد الرحيم» في المستشفى الدولي وأخبره أنه أفاق ويمكن استجوابه.. كان «عبد الرحيم» قد أصابته صدمة ودخل في غيبوبة بعد أن علم بمقتل ابنته.. سيذهب «كرم» إليه في الغد لعله يعرف منه ما لم يعرفه من غيره.

عاد «كرم» هذه الليلة إلى منزله مبكرًا على غير عادته.. سمع شيئًا لم يألف سماعه في شقته.. سمع ضحكًا.. هل أخطأ الشقة؟ لا، فهذا الحذاء على الباب يخص زوجته.. ليس الحذاء فقط، بل الشقة هي الشقة.. دخل في حذر ليجد زوجته تلعب مع «سامح» و«هدى».. التفتت زوجته إليه وهي تقول له بلهفة:

- كيف حالك يا «كرم»؟ ماذا حدث لك؟

رد عليها «كرم» وهو يشير إلى كدمة بسيطة في وجهه:

sa7eralkutub.com

- بخير والحمد لله.. كدمات بسيطة.

عادت تقول له وهي تبتسم:

- سوف تحكي لي ما حدث، لكن بعد الغداء.

نظر إليها بدهشة وقال لها:

- أي غداء؟

فردت عليه والابتسامة لا تزال على وجهها:

- غداؤك يا حبيبي.. لقد أكل الولدان.. أما أنا فقد انتظرتك لآكل معك.

نظر إليها «كرم» في ريبة.. لا بد أنها مصابة بمرض ما.. هل يوجد مرض يصيب الزوجات فيجعلهن طيبات؟ أو ربما وقعت على رأسها وهي الآن فاقدة للذاكرة.. قال لها «كرم»:

- «نسمة».. هل أنت بخير؟

فردَّت عليه وهي تتوجه إلى المطبخ:

- نعم يا حبيبي.. غيّر ملابسك حتى أحضِّر الغداء.

دخل «كرم» غرفته ليغير ملابسه تملؤه الريبة من تصرفات زوجته.. جلس على السرير يفكر.. لا بد أن في الأمر سرًا ما.. سمع صوتها ينادي عليه فخرج على الفور ليجد الطعام على المائدة ينتظره.. جلس وهو

sa7eralkutub.com

يبتسم لزوجته بخوف وبدأ الأكل وهي تراقبه.. هل وضعت لي السمّ في الطعام؟!

- ما أخبار القضية التي تعمل عليها؟ هل عرفت القاتل؟

فسألها «كرم» بتعجب:

- أي قاتل؟

فردت عليه ببساطة:

- قاتل السيدة التي وجدوها مع عشيقها.. بالتأكيد زوجها الفاعل.

سألها «كرم» بشك وقد فهم سبب رقتها:

- من الذي أخبرك عن القضية؟ النشر فيها ممنوع.

أجابته «نسمة»:

- لقد حكى لي والدي عن هذه القضية والضغط الذي تتعرض له بسببها بعد ما حدث في عيد ميلاد «هدى» والحادث الذي تعرضت له اليوم.

هزّ «كرم» رأسه كأنه يطرد تلك الوساوس التي تهاجمه بسبب طريقة زوجته معه، وتردد قليلًا قبل أن يتكلم معها في القضية.. مال به الحديث إلى «مازن» ورؤيته له في أول ليلة ومعرفة «مازن» اسم ابنه.. ثم الهاتف الذي طلب منه البحث عنه وأخيرًا شك «سعد» فيه.. قالت له

sa7eralkutub.com

«نسمة» كأي سيدة تعرف أنها يجب أن تخاف عندما تسمع سيرة الملبوسين:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا الولد بالفعل تصرفاته غريبة.. هل تعتقد أنه كما يقول زميلك؟

أجابها «كرم» بسخرية:

- وهل تعتقدين أنني يمكن أن أكتب تقريراً عن الولد الملبوس؟ وبماذا ستحكم المحكمة؟ برش العفريت بالماء حتى ينطفئ!

فقالت له زوجته بخوف:

- لا تسخر من هذه الأشياء.. هل أخبرك «شحاتة» عن الكلاب والقطط التي باتت لا تقرب العمارة والنمل الذي يفر من العمارة؟ ورؤيتك لهذا الولد.. هل أنت متأكد أنها كانت حلماً؟

نظر إليها «كرم» ولم يرد.. كان يفكر في كلامها شارد الذهن عندما علا صوت زوجته بالصراخ..

كانت تنظر إلى الغرفة التي يلعب بها الطفلان.. كان الدخان يتصاعد من الغرفة.. بحدها شعرا بتلك الهزة التي سرت في المبنى.. مع صراخ أتى من الخارج: المنزل ينهار..

sa7eralkutub.com

جرى «كرم» إلى غرفة الطفلين ليحمل كل واحد منهما تحت إبط وزوجته لا تزال تصرخ في عدم فهم.. دفعها بقدمه لتنزل أمامه على سلم العمارة الذي امتلأ بالفارين من العقار.. نزل جميع السكان إلى الشارع بملابس البيت.. نزلت الفاتنات بشعورهن المنكوشة، ونزل الرجال شديدو الأناقة بفانلات داخلية بها ثقوب.. كان أكثر الواقفين أناقة في هذا الوضع هو البواب..

نظر الجميع إلى المبنى الذي لا يزال واقفًا.. العقار لم يحدث له أي شيء.. هنا فهم السكان ما حدث بعد أن ظهر «شحاتة».

- ما الذي حدث يا عم «شحاتة»؟

أجاب الرجل بتأثر وهو يضرب كفًا بكف:

- لقد وقع جزء من العقار الذي في ظهر العمارة.. العقار قديم ولم يحتمل مصنع البسطرمة.. الحمد لله ليس لنا في البسطرمة نصيب.. لقد قلت لـ«كرم» بيه..

نظر الجميع لـ«كرم» وكأنه سبب الكارثة.. بينما كان ذلك الأخير يفكر في شيء آخر.. في الحيوانات التي فرت من العمارة قبل الحادث.. يقولون إن الحيوانات تشعر بالخطر.. يقولون إن «تسونامي» لم يقتل حيوانًا.. هل هذا ما حدث؟!

* * *

sa7eralkutub.com

عندما وصل «كرم» إلى المستشفى الدولي الذي كان «عبد الرحيم» راقدًا به، علم مدى الثراء الفاحش الذي وصل إليه ذلك الرجل.. المباني الفاخرة بواجهاتها الزجاجية.. رجال الأمن الذين لم يكترثوا لكونه مقدم شرطة بل فتشوه جيدًا وأصروا أن يترك سلاحه بالخارج على الباب أو في سيارته؛ فالشخصيات بالداخل بالأهمية التي تمنع حتى دخول وزير الداخلية بالسلاح.. الممرضات يبدو أنهن أجنبيات.

تذكّر عندما أصيب في حادث ودخل مستشفى الشرطة وبعد تدخل والد زوجته نقلوه لجناح خاص بالشخصيات المهمة.. عندما دخل هذا المستشفى علم أن ذلك الجناح يمكنه عن جدارة أن يكون دورة المياه..

كان الطبيب المسئول عن «عبد الرحيم» في انتظاره.. سأل «كرم» في الاستقبال عنه:

- أين الدكتور «هشام فتحي»؟

رد عليه موظف الاستقبال وهو يبتسم:

- هل مع حضرتك ميعاد سابق؟

فأجابه «كرم»:

- إنه في انتظاري.

فأمسك الموظف سماعة هاتف داخلي وقال له:

sa7eralkutub.com

- تفضل.. انتظر ثواني في الاستراحة.. أقول له من؟

فرد «كرم» بكبرياء المحاربين القدماء:

- «كرم».. المقدم «كرم» من...

فقاطعه الموظف والابتسامة لا تزال على وجهه كأنه مولود على هذا الوضع:

- تفضل سبادتك وسوف أخبره.

جلس «كرم» في الاستراحة وهو يريد تحطيم أنف الموظف الذي لم يتأخر عليه قبل أن يجيء إليه ويقول:

- تفضل بالدور الثالث.. مكتب رقم «9».

صعد «كرم» في المصعد الذي ذكّره بغرفة نومه وقارن بين المستشفى ومصحة الأمراض النفسية التي بها «مازن».. هذا المستشفى أكثر تنظيمًا ورُقيًا منها.. حتى الممرضات هنا أجمل.. وصل إلى المكتب فطرق الباب قبل أن يدخل.. وجد بالداخل طبيبًا أشيبَ الرأس عظيم البطن مكتوبًا أمامه على المكتب الأستاذ الدكتور هشام فتحي.. قال له الطبيب بلهجة متسائلة:

- المقدم «كرم»؟

فأشار «كرم» بالإيجاب وهو يقول:

- نعم.. هل يمكنني التحدث معه الآن؟

sa7eralkutub.com

فقال له الطبيب وهو يبتسم:

- تجلس لتشرب شيئًا أولًا.

فرد عليه «كرم» بصرامة:

- للأسف ليس عندي وقت.. سوف أتحدث معه وأذهب على الفور.

اقتاده الطبيب إلى غرفة «عبد الرحيم» وهو يقول له:

- حاول ألا تُجهده؛ فهو لم يتعافَ حتى الآن.

فرد عليه «كرم»:

- أعرف.. سوف أسأله عن بعض الأشياء وأرحل على الفور.

دخل الطبيب الغرفة ومن ورائه «كرم».. كان «عبد الرحيم» راقدًا على الفراش والخراطيم تخرج من ذراعه إلى المحاليل المعلقة، وجهاز رسم القلب الموصل إلى صدره يخبرنا بأن هذا الرجل خارج للتوِّ من كارثة أو مُقدم عليها.. قال «كرم» للطبيب:

- هل يمكنني التحدث معه الآن؟

فأجابه الطبيب:

- ثوانٍ.. أرى حالته أولًا.

قال له «كرم»:

- لكنه يبدو نائمًا.

sa7eralkutub.com

رد عليه الطبيب وهو ما زال يفحصه:

- إنه كذلك دائمًا.

أخذ «كرم» كرسيًا وجلس بجانب السرير، بينما ترك الطبيب يلفت انتباه «عبد الرحيم»..

«عبد الرحيم» الذي صار مخلفات صراع طويل من أجل أشياء تافهة.. قال له الطبيب:

- كيف حالك يا «عبد الرحيم بيه»؟

فتح الرجل عينيه ببطء وقال بصوت واهن موشك على البكاء:

- لم يعد هناك فارق.

sa7eralkutub.com

توقع «كرم» أن يقتل اليأس ذلك الرجل قبل المرض.. قال له الطبيب ليشجعه وكأنه لم يسمع رده:

- حالتك تحسنت.. يومان وتخرج بإذن الله.. معي صديق يريد التحدث معك قليلًا.. سيادة المقدم «كرم».

دبّت الحياة في الرجل وحاول الاعتدال في جلسته لكنه لم يستطع.. بحث بعينيه الواهنتين عن «كرم» الذي كان بجانبه حتى وجده فقال له:

- هل جئت من أجل «مي»؟

كان سؤاله بطريقة تنم عن أن هذا الرجل على وشك الجنون.. فرد عليه «كرم» بعد تردد:

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- نعم.

صرخ «عبد الرحيم» فخرجت صرخته واهنة وهو يقول:

- هو من قتلها.

فسأله «كرم» عمّن هذا الذي قتلها، فقال له بغضب:

- «ممدوح».. الكلب ابن الـ... لن أتركه حيًا بعد الآن.

فسأله «كرم»:

- وما الذي جعلك متأكدًا من أنه هو الفاعل؟

فأجابه الرجل وقد بدا أنه يستنفد كل طاقته:

- ومن غيره؟

فقال له «كرم»:

- وهل من الطبيعي أن يقتل زوجتَه كلُّ من على خلاف معها؟

لم يرد الرجل فقال له «كرم»:

- هل كنت تعرف ما بينها وبين «عمرو»؟

تلعثم الرجل وسعل مرتين قبل أن يجيب:

- قبل الزواج.. كنت أعرف أنها تحبه، لكنني توقعت أنه «لعب عيال» وبعد الزواج سوف تنساه، خاصة أنه سافر بعد زواجها.

قال له «كرم»:

sa7eralkutub.com

- إذًا هي لم تكن على علاقة بـ«عمرو» بعد عودته من السفر!

فرد الرجل بسرعة:

- لا أعرف، ولكني لا أظن ذلك.

فقال له «كرم» ليستدرجه:

- أنا أميل لرأيك أن الزوج هو من فعلها.. لكن كيف نثبت ذلك؟ أي معلومة ستقولها ستكون مفيدة لي.

رد عليه «عبد الرحيم»:

- بالتأكيد أراد الانتقام منها بعد أن علم بأمر علاقتها مع «عمرو»؛ لذلك قتلها وقتله.

فقال له «كرم»:

- لكنك قلت إنك تظن أنها لم تكن على علاقة بـ«عمرو».. ثم كيف عرفت بأمر مقتل «عمرو»؟ لقد سمعت أن الصدمة أصابتك فور معرفتك الخبر والنشر ممنوع في هذه القضية.

سكت «عبد الرحيم» ولم يرد.. فجأة بدأت ضربات قلبه في الازدياد.. علم الطبيب بقرب وقوع الكارثة المنتظرة فدق الجرس لتحضر ممرضة على الفور.. ثم ما لبثت الغرفة أن امتلأت بالمعاطف البيضاء.. كان «كرم» واقفًا في جانب الغرفة عندما قال له الطبيب:

sa7eralkutub.com

- للأسف يا «كرم بيه» لن تستطيع التحدث معه الآن.. ربما بعد عدة أيام لو تحسنت حالته.

مطّ «كرم» شفتيه في خيبة أمل ولم يرد.. بدلًا من أن يساعده الرجل جعله يشك فيه.. لقد ازداد عدد المشتبه بهم.. لكن هل «عبد الرحيم» من النوع الذي يقتل من أجل شرفه؟ هو لا يظنه كذلك.. على كل حال سيعود إلى هاتف «مي» لعله يجد به شيئًا جديدًا.

* * *

في طريق ذهابه إلى القسم، رنَّ هاتفه.. كان والد زوجته.. رد عليه بفتور:

- ألو.. كيف حالك يا باشا؟

فسمع صوته يرد عليه بجدية:

- أين أنت يا «كرم»؟

فأجاب «كرم»:

- أنا في طريقي إلى القسم.

فقال له الرجل:

- تعالَ إلى المديرية في الحال.. لقد وجدنا قاتل «مي».

صرخ «كرم» بدهشة:

sa7eralkutub.com

- من؟ كيف عرفتموه؟

فقال له الرجل بحماس وقد أعجبه أنه ما زال يدهش الجميع بذكائه الخارق للطبيعة:

- تعالَ بسرعة وسوف تعرف.

أغلق «كرم» الخط وسارع في الطريق إلى المديرية.. كان الفضول يلعب به لعبته المعتادة.. ظل يفكر طوال الطريق في كل الاحتمالات.. ربما سيجد «ممدوح» في الأصفاد يبكي بعد أن اعترف.. لن يندهش لو كان هو القاتل..

وصل «كرم» إلى المديرية فصعد مباشرة إلى مكتب والد زوجته الذي كان في انتظاره.. عندما دخل الغرفة علم أن في الأمر شيئًا مهمًا.. هناك ضابطان يجلسان أمام المكتب يتحدثان معه عن شيء موضوع على المكتب أمام الرجل.. عندما رأى مدير الأمن «كرم» تهللت أساريره وقال له:

- «كرم».. لقد وصلت في الوقت المناسب.

سأله «كرم» وهو يلهث من أثر الصعود السريع على الدرج:

- كيف عرفتم القاتل؟

فأجابه المدير بفخر وهو يضحك:

ما زال أمامك الكثير لتتعلمه.

sa7eralkutub.com

كان «كرم» يريد أن يقول له: «ما تخلّص يا عم الذكي».. لكنه آثر السكوت حتى ينتهي هذا الرجل من مدح نفسه ويشرح له ما حدث..

بعد خطبة طويلة عن خبرته في عالم الجريمة قال له:

- يبدو أن القتل كان الغرض منه السرقة.

رد عليه «كرم»:

- لو كان كذلك، فما سبب تشويه جثة «مي»؟

فأجابه المدير:

- حتى نعتقد أن الأمر ليس كذلك.. لقد كان الغرض السرقة.. قبضنا على السارق يحاول بيع هذا الخاتم.. هو لم يكن يعرف قيمته ولم يكن معه فاتورة الشراء.. عندما عرض عليه المحل ثمنًا بخسًا ووافق شك صاحب المحل به فأمسك به وأبلغنا.

سأله «كرم» بعدم فهم:

- ما علاقة هذا بقضيتنا؟ ربما كان السارق قد سرقه من شخص آخر.

ابتسم المدير بثقة وقال له:

- كنت أعرف أنك ستسأل هذا السؤال.. أولًا: لقد استدعينا أحد خبراء الشركة المصنّعة لهذا الخاتم.. سوف يرى الخاتم ويخبرنا بصاحبته؛

sa7eralkutub.com

فهذه الشركة تجعل لكل قطعة رقمًا عندها تعرف عن طريقه صاحب القطعة المباعة.. ثانيًا: هل تعرف مَن السارق الذي قبضنا عليه؟

قال له «كرم» وهو يحاول أن يُظهر الانبهار بذكاء الرجل الخارق:

-يااااه.. من؟

فأجابه المدير:

- «حسن»، السباك.

فقال له «كرم» بسرعة بلهجة غير مصدقة:

- غير معقول! «حسن» السباك! «حسن» السباك من؟

أجابه الرجل بفخر:

- ابن «سيدة»، خادمة «مي».. يبدو أنه اتفق مع والدته على قتلها وسرقتها.. لقد أرسلتُ مَن يقوم بتفتيش شقة الخادمة ويأتي بها.

هل ستنتهي القضية بمنتهى البساطة هكذا؟ قاطع حديثهم العسكري الذي دخل الغرفة ليخبرهم بوصول الخبير من شركة صناعة المسبوكات الذهبية.. وقف الجندي بقلق وقال للمدير:

- لقد وصل يا سيدي الرجل الذي تريده.

نظر إليه المدير بدهشة وسأله:

- أي رجل؟

فرد عليه الجندي:

sa7eralkutub.com

- الرجل من شركة.. من شركة.. من شركة...

قاطعه الرجل وقد فهم مراده:

- لا يهم اسم الشركة.. لقد فهمت.. أدخله.

دخل رجل في العقد الخامس من العمر يرتدي حلة سوداء ويحمل حقيبته في يده.. وقف المدير ليسلم عليه ثم أجلسه على الكرسي أمام المكتب.. قال له المدير:

- نشكرك على المجيء.. ماذا تشرب؟

رد الرجل باقتضاب:

- لا شيء.. أين الخاتم؟ أريد العودة للشركة.

هذا الرجل يبدو عليه الأهمية.. وضع المدير الخاتم بين يديه.. ففتح الرجل حقيبته وأخرج عدسة مكبرة.. وبدأ يتأمل في الخاتم.. لحظات من الصمت قبل أن يقول الرجل:

- من الذي قال إن هذا الخاتم من شركتنا؟

أجابه المدير كأنه ينفي التهمة عن نفسه:

- صاحب المحل الذي ذهب السارق لبيعه فيه.

فهز الرجل رأسه وقال:

- هو بالفعل من شركتنا.. يمكنني أن أعرف صاحبته بسهولة.

sa7eralkutub.com

أخرج الرجل هاتفه.. وبعد حديث طويل وبيانات كثيرة وكلمات إنجليزية لم يفهم الجالسون معظمها، أغلق الخط وقال لهم:

- هذا الخاتم يخص السيدة «سعاد حلمي».

لم يستطع «كرم» أن يكتم ضحكته عندما رأى ملامح المدير التي تحولت إلى خليط من البلاهة والحنق.. قال المدير للرجل:

- هل أنت متأكد؟

رد الرجل وكأن المدير قد طعنه في شرفه:

- مائة في المائة.. أي خدمة أخرى؟ حسنًا.. السلام عليكم.

خرج الرجل فقال «كرم» بتشفٍّ:

- إذًا ليس «حسن» هو القاتل.

لم يرد عليه أحد.. فاستطرد «كرم»:

- عندما تصل «سيدة» أريد أن أتحدث معها بمفردي في مكتبي.

فقال له المدير بضيق:

- سوف أرسلها إليك.

ذهب «كرم» إلى مكتبه بمديرية الأمن ووقف في الشباك يتأمل الشارع في انتظار «سيدة».. رآها وهي تنزل من سيارة الشرطة فجلس على مكتبه.. بعد قليل دخلت عليه وهي تبكي.. أمرها بالجلوس وظل صامتًا ليحطّم أعصابها قبل أن يقول:

sa7eralkutub.com

- ابنكِ متهم بالقتل.. لقد وجدوا خاتم القتيلة معه.

أجهشت السيدة بالبكاء وقالت له:

- والله ابني لم يأتِ إلى «مي» هانم أبدًا.

فقال لها «كرم» بإهمال:

- حسنًا.. فليثبت ذلك.

ثم استطرد بعد ذلك:

- لذلك كنتِ تريدين أن تلصقي التهمة بـ«ممدوح».

فردت بفزع:

- لا يا سيدي.. لقد كنت أريد حماية سيدي «عبد الرحيم».. لقد كنت أحكي له كل ما يحدث بين سيدتي وابن خالتها.. لقد هدده سيدي ذات مرة بالقتل.. كنت أخشى عليه.. فأنا متأكدة أنه لم يفعلها.. وكل ما حكيته عن «ممدوح بيه» حدث والله العظيم.

أحس «كرم» أنه استدرجها.. مهما كانت تخاف على سيدها.. الابن أغلى من أي شيء آخر.. لقد كان يعرف أن ذلك الرجل القابع بالمستشفى وراءه سر مهم.. قال لها «كرم»:

- بالطبع تعرفين ماذا سأفعل بك وبابنك لو كنت تكذبين.

نظرت «سيدة» إلى الأرض ولم ترد.. لأنها تعرف جيدًا.

sa7eralkutub.com

ليس كما ظننت

وصل تقرير المعمل الجنائي وهاتف «مي» إلى «كرم» الذي سارع ففتح الظرف ليقرأ التقرير.. بصمات «مي» على الهاتف.. شيء طبيعي.. كذلك بصمات «مازن».. قد يكون شيئًا طبيعيًا، فهذا هاتف والدته.. لكن لماذا كان يخبئه في وسادته؟!

بالطبع بطارية الهاتف فارغة.. أين سيجد شاحنًا هنا؟ فليأخذه معه إلى البيت، عنده هناك شاحن مناسب لهذا الهاتف.. ماذا سيفعل الآن؟ فليذهب لزيارة «مازن».. صار كلما وجد الوقت سانحًا ذهب لزيارته كأنه خطيبته..

كان يؤمن في داخله أن مفتاح الحل مع هذا الطفل.. نزل من مكتبه متوجهًا إلى المصحة التي صار من الطبيعي وجوده بها.. أوقف سيارته أمام بابها كالمعتاد، على الرغم من أن الحارس كان يعترض في البداية لكنه كفَّ عن الاعتراض بعد أن عرف طبيعة عمله.. صعد الدرج إلى غرفة «مازن».. ليجد «سعد» واقفًا خارج الغرفة يتحدث مع «جمالات»

sa7eralkutub.com

ويضحكان بسعادة بالغة.. المخبران ينظران إليهما كأنهما يشاهدان فيلم «شاطئ الغرام».. غلى الدم في رأس «كرم» وقرر أن يقوم بدور هادم اللذات.. عندما لاحظوا وجوده، وقف المخبران وتوقف «سعد» عن الكلام.. ابتسم «كرم» ابتسامة باهتة وقال له:

- كيف حالك يا «سعد»؟ لقد نسيت أنك تعمل معي.. هل ستلتحق بالعمل في هذه المصحة؟

علم «سعد» ما يرمي إليه «كرم» فلم يرد أن يطيل الكلام في هذا الاتجاه خوفًا من أن يحرجه أمام الطبيبة فقال له:

- وهل أستطيع الاستغناء عنك يا كبيرنا؟! أنا فقط كنت أراقب الولد.. على فكرة لقد كنت أتحدث مع دكتورة «جمالات» عن «مازن» عندما أتيت، وكانت تشرح لي حالته.

فقال له «كرم» بغيظ:

- وحالته مضحكة إلى هذا الحد؟

فقالت «جمالات» وهي تضحك وتنظر إلى «كرم» بتشفٍ:

- لا يا أستاذ «كرم»، لكنه قال لي عن شكوكك في أنه ملبوس.

نظر «كرم» لـ«سعد» بغضب وقال:

- شكوكي أنا؟! أنا من قلت إنه ملبوس؟!

sa7eralkutub.com

ابتعد «سعد» عنه وهو يقول:

- بعد إذنك يا باشا، هناك من يريد الخروج بسيارته وأنا أغلق عليه الطريق.

اختفى «سعد» من أمامه.. ماذا سيقول للطبيبة الآن بعد أن أظهره «سعد» بمظهر المخرّف؟ النفي في هذه الحالة يزيد من ثقة الذي أمامك أنك أنت الفاعل.. قال لها «كرم» بجدية:

- دعك من حكاية الملبوس هذا.. أريد أن أسألك عنه بعض الأسئلة.

لهجته الجادة جعلتها تتوقف عن الضحك وقالت له:

- تفضل.. تحت أمرك.

قال لها «كرم»:

- هل تعرفين سبب قوله لي اسمك جميل كلما رآني؟ لقد كرهت اسمي بسببه.

فردت عليه الطبيبة:

- أنت عندك أطفال.. أليس كذلك؟

فأجابها «كرم»:

- بلى.. ما علاقة هذا بسؤالي؟

فأجابته «جمالات»:

sa7eralkutub.com

- اسألهم عن الكابتن «كرم».. إنه مسلسل أطفال له شعبية كبيرة بين الأطفال الآن.. هل رأيت الدب اللعبة الأصفر الذي يحمله «مازن» معه دائمًا؟

فصرخ فيها «كرم» بفرح:

- نعم.. أين هو؟ لم أرَه منذ مدة.

نظرت إليه الطبيبة بريبة وقالت له:

- هل تحبه أنت أيضًا إلى هذا الحد؟ المهم، هذا الدب هو شخصية الكابتن «كرم».. ربما لذلك يحبك «مازن» أو يحب اسمك.

فعاد «كرم» يسألها:

- وهل هذه اللعبة منتشرة؟ يعني هل من السهل الحصول عليها؟

فأجابته «جمالات»:

- نعم.. إنها في كل مكان.

فعاد «كرم» يسألها:

- وكيف عرف اسم ابني؟ شيء غريب بالفعل.. أنا لا أتذكر أنني قلته أمامه.

فقالت له «جمالات»:

- تقصد «سامح»؟

sa7eralkutub.com

فأجابها «كرم» بدهشة:

- نعم.. كيف عرفتِ أنتِ أيضًا اسمه؟ هل سمعتِ مكالمتي وأنتِ بغرفة الملاحظة هذه؟ لكني عرفتُ أن جدرانها عازلة للصوت والباب كان مغلقًا.

فردت «جمالات» وهي تحاول أن تكتم الضحك:

- لقد سمعتُ مكالمتك مع ابنك ونحن في الغرفة لأن الدكتور «عبد المحسن» كان يتحدث معي من حين إلى آخر ويترك «المايك» مفتوحًا.

قال «كرم» هامسًا كأنه يتحدث إلى نفسه:

- إذًا، لكل شيء تفسير!

لم تتبين «جمالات» ما قال، لكنها قالت له:

- دعك من العفاريت وهذا الكلام.. أنت رجل متعلم.

لو كان «سعد» موجودًا الآن لرماه «كرم» بالرصاص.

* * *

عندما عاد «كرم» إلى منزله، كانت عمليات رفع أنقاض العقار الذي انهار بالأمس لا تزال قائمة.. «شحاتة» البواب واقف يشاهد العمل ويلقي مواعظ للواقفين عن الطمع وأنه قل ما جمع.. لكنه في الوقت نفسه كان مشفقًا على البسطرمة التي ذهبت تحت الأنقاض.. لم يكن «كرم» في مزاج يسمح له بالوقوف ومشاهدة العقار المنهار أو التحدث مع «شحاتة»؛

sa7eralkutub.com

لذلك صعد على الفور دون النظر إلى البواب الذي لو رآه سيستوقفه ليتحدث معه في أي شيء.. أحيانًا يشعر «كرم» أن هذا الرجل عنده فراغ عاطفي..

دخل شقته ليجد زوجته تربط رأسها وتمسك بمنفضة ومعها سيدة أخرى تمسح الأرض.. قالت له عندما رأته:

- كيف حالك يا حبيبي؟ لقد أتيت باكرًا اليوم.

فرد عليها «كرم»:

- لم يكن هناك الكثير من العمل اليوم.. ماذا تفعلين؟

فردت عليه وهي لا تتوقف عن العمل:

- لقد أتيت بـ«أم مصطفى» لتساعدني في تنظيف الشقة بعد أن امتلأت بالغبار بسبب انهيار العقار بالأمس.

فسألها «كرم»:

- وأين «سامح» و«هدى»؟

فأجابته:

- في غرفتهما.. لقد نظفناها ورتبناها في البداية.. يمكنك أن تجلس معهما حتى ننتهي.

sa7eralkutub.com

هذا أحب شيء إلى قلبه.. أن يلعب معهما.. دخل في البداية غرفة نومه فغيّر ملابسه وذهب إلى غرفة الطفلين.. كانا يلعبان بسعادة بالغة وجريا عليه فور رؤيته.. جلس معهما وبدأ اللعب.

عندما تذكّر كلام الطبيبة سأل «سامح»:

- هل تعرف الكابتن «كرم»؟

نظر إليه «سامح» بخوف وقال بتردد:

- هل تقصد الدب الأصفر؟

هزّ والده رأسه فقال له «سامح»:

- نعم أعرفه.

لاحظ «كرم» خوفه فقال له:

- لماذا أنت خائف هكذا؟ هل عندك واحد؟

تردد «سامح» وأوشك على البكاء قبل أن يقول له:

- سوف أقول لك كل شيء لكن لا تقُلْ لماما حتى لا تعاقبني.

ربت «كرم» على كتفه وتساءل:

- هل يمكن أن تكون أنت الفاعلْ يا «سامح»؟ ما هذا السخف؟

قال له ليطمئنه:

- لا تخَف.. لن أخبر أحدًا، ولكن قُل لي الحقيقة.

قام «سامح» وأحضر اللعبة وأعطاها لوالده وقال:

sa7eralkutub.com

- هذه هي اللعبة سبب المشكلة.. لقد كانت تخص «حازم» صديقي في النادي.. كان يمسكها ويلعب بها ويقول لي: أليس اسم والدك «كرم»؟ هذا هو والدك.. والدك هو الكابتن «كرم».. والدك «الدبدوب».. أنت ابن «الدبدوب».. «كرم الدبدووووب».

قال له «كرم» وقد اكتفى:

- يكفي هذا يا «سامح».. انتقل إلى نقطة أخرى.

فاستطرد «سامح»:

- ذات مرة ضربته وأخذتها منه.. لكني بعد ذلك خفت من ماما فخبأتها تحت الأريكة.. بعدها جاء أخوه الأكبر وضربني.

فقال له «كرم»:

- هذا هو الولد الذي ضربك منذ أيام وقلت إنك لا تعرفه؟

فهز «سامح» رأسه كناية عن الموافقة فقال له والده معاتبًا:

- وهل ما فعلته صحيح؟

فنظر «سامح» إلى الأرض ولم يرد.. قال له «كرم»:

- سوف آتي معك إلى النادي وأصالحك على صديقك ونعيد له لعبته.. لا تخف، سوف أجعله يكف عن وصفي بـ«الدبدوب».

احتضنه «سامح» وقبّله في سعادة.. فقال له «كرم»:

sa7eralkutub.com

- العب مع أختك الآن.. لقد تذكرت شيئًا مهمًا.

خرج «كرم» من الغرفة لأنه تذكر الهاتف في جيب بنطاله.. ذهب إلى غرفته حيث علّق البنطال فلم يجده.. لم يجد البنطال من الأساس.. نادى على زوجته فأتت على الفور فسألها:

- أين البنطال الذي كنت أرتديه؟

فأجابته:

- في الغسالة.

قفز «كرم» إلى خارج الغرفة وهو يقول:

- يا نهار أسود.

كانت الغسالة تدور باستمتاع وهدوء كأنها تغيظه وتقول له: لقد دمرت الهاتف يا أبله.. حاول أن يوقفها لكنه لم يكن يعرف من أين يمكن أن يوقف التشغيل.. سمع صوت زوجته من ورائه:

- علامَ تبحث؟

فقال لها وهو لا يزال يحاول أن يوقفها:

- لقد كان هناك هاتف في جيبي.

فقالت له زوجته وهي تمسك الهاتف بين يديها:

- هل تقصد هذا؟ لقد أخرجته من جيبك قبل أن أغسل البنطال.

صرخ «كرم» في فرح:

sa7eralkutub.com

- نعم.. هذا هو ما أبحث عنه.

قالت له زوجته معاتبةً بعد أن أعطته إياه:

- لماذا لم تقُل لي إنك اشتريت هاتفًا جديدًا؟

فقال لها «كرم» وهو يقلّب في الهاتف:

- هذا ليس هاتفي الجديد.. هذا هاتف «مي» القتيلة.

كادت زوجته تفقد الوعي بعد أن عرفت أنها أمسكت بهاتف القتيلة وجرت إلى الحوض لتغسل يديها وهي تقول:

- وما الذي جاء به معك؟

فأجابها:

- أريد أن أشغله.. هل عندك شاحن مناسب له؟

فقالت له باشمئزاز:

- عندك في الغرفة.. شاحن هاتفك.. لا تستخدم شاحن هاتفي.

عاد «كرم» بالهاتف إلى غرفته وظل يبحث عن الشاحن.. هو كأي شخص يبحث عن أي شيء لا يجده عندما يحتاجه.. لكن زوجته وجدته له على الفور عندما طلب مساعدتها.. أدخل الشاحن في الهاتف ولم ينتظر الشحن.. جلس على السرير وشغل الهاتف وهو موصّل بالشاحن.. بدأ الهاتف بالاستيقاظ بعد سُبات طويل.. لا يستطيع الانتظار.. هيا أسرع

sa7eralkutub.com

أيها اللعين.. وبعد ثوانٍ مرت عليه دهرًا.. استقبلته صورة لـ«مي» و«عمرو» على الشاشة.. هل وصل الأمر إلى هذا الحد: أن تضع صورته على الشاشة الرئيسية؟! لقد نسيت.. لقد كانت حاملًا منه.. أين المكالمات الصادرة والواردة؟ نعم هنا..

آخر المكالمات الواردة..

«ممدوح».. وتم الرد عليها!

آخر المكالمات الصادرة..

«ممدوح».. وتم الرد عليها!

كانت المكالمتان قبل مقتل «مي» بحوالي ربع ساعة.

لماذا يتصل «ممدوح» بها أو تتصل به في هذا الوقت؟ ربما لم تكن هي المتصلة.. لقد وجدنا الهاتف مخبأ في غرفة «مازن».. لو «مازن» هو الذي خبأه لماذا يطلب مني البحث عنه؟!

- الغداء جاهز.. لقد رحلت «أم مصطفى» وستعود في الغد لنكمل.. ما رأيك نتغدى ونذهب إلى النادي معًا الليلة؟

أخرجه صوت زوجته من تأملاته.. قال لها بمرح وهو خارج من الغرفة:

- هيا بنا نلعب.

sa7eralkutub.com

فضحكت زوجته وخرجت معه.. لتنادي على الطفلين ليأكل الجميع معًا.. الشيء الذي لم يحدث منذ فترة طويلة.

sa7eralkutub.com

القاتل

كان «ممدوح» جالسًا في شرفة الفيلا ينظر إلى الحديقة الخاصة بها في ذهول.. لحية نصف نامية.. ظهرت عليه آثار كبر السن فجأة وكأن عمره زاد عليه الكثير من السنوات.. كان ينظر إلى اللاشيء.. لم يلحظ دخول والده إلى الغرفة ووقوفه بجانبه.. أمسك والده بكرسي ووضعه بجانبه ثم قال له بحنان:

- كيف حالك يا «ممدوح»؟

فأجابه «ممدوح» وهو ما زال ينظر إلى الفراغ:

- بخير.. الحمد لله.

سحاب الكتب
sa7eralkutub.com

فقال له والده:

- وكيف حال العلاج؟

فابتسم «ممدوح» بمرارة وقال بيأس:

- أي علاج؟ أنا لا أعرف هل أتقدم في العلاج أم لا.

قال له والده:

- لماذا لا تقبل بأن أحضر معك جلسات العلاج؟

فرد عليه «ممدوح» بضجر:

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- لأن هذا يذكّرني بالطفل الصغير الذاهب معه والده إلى الطبيب.. ثم إنني لا أرى فارقًا بين حضورك معي وعدم حضورك.

تردد والده قليلًا قبل أن يقول له:

- أين كنت يا «ممدوح» ساعة مقتل «مي»؟

ابتسم «ممدوح» بمرارة وقال له:

- هل تعمل الآن مع المباحث؟! لقد كنت نائمًا.

فرد عليه والده بقلق:

- لا يا «ممدوح» لم تكن نائمًا أو في الفيلا من الأساس.

نظر إليه «ممدوح» وسأله بفزع:

- ماذا تقصد؟

أجابه والده بهدوء ليطمئنه:

- لا تخَف يا «ممدوح».. سوف أذهب معك اليوم إلى الطبيب وأستفسر منه.. ربما خرجت وذهبت إلى أي مكان.

فقال «ممدوح» وهو موشك على البكاء:

- وربما ذهبت إلى هناك وقتلتها.

فقال له والده:

sa7eralkutub.com

- لو كان هناك دليل ضدك لقبضوا عليك.. حتى لو كنت الفاعل، مرضك سيحميك من الحساب.

فرد عليه «ممدوح»:

- وأقضي بقية حياتي في مستشفى المجانين!

ربت والده على كتفه وقال له:

- لا تخَف.. لن أسمح بأن يحدث لك أي مكروه.

في هذه الأثناء، وصل «حاتم»، أخو «ممدوح».. كان «حاتم» طبيبًا ليس له علاقة بأعمال والده.. شخصية متزنة وهادئة.. مختلف تمامًا عن «ممدوح».. حيّاهما من الأسفل وصعد السلم بسرعة إلى الأعلى.. قال الوالد لـ«ممدوح»:

- سوف أتركك مع «حاتم».. عندما أعود سوف نذهب معًا إلى الطبيب.

هزّ «ممدوح» رأسه موافقًا.. خرج الأب، وفي أثناء خروجه قابل «حاتم» الذي سلم عليه وقبّله ثم دخل ففعل الشيء نفسه مع «ممدوح» قبل أن يجلس بجواره ويقول له:

- كيف حالك اليوم يا عم «ممدوح»؟

رد عليه على الفور:

- أنت لم تنجب حتى الآن.

sa7eralkutub.com

قالها «ممدوح» لأخيه الذي اندهش لبداية الكلام معه على هذا النحو فرد عليه:

- الحمد لله.. كل واحد يأخذ رزقه.

قال «ممدوح» ونظره ما زال إلى الفراغ:

- لن يكون صعبًا عليك أن تربي «مازن»، خاصة أنك طبيب.. لا تتركه في المصحة إلى الأبد.

قال له «حاتم»:

- لا تقُل هذا الكلام.. كل ما يحدث محنة ستنتهي ويتربى ابنك معك.. سيكون في أحسن حال.

فعاد «ممدوح» يقول له:

- حتى أستريح.. أريدك أن تعاهدني أن تتكفل بتربية «مازن» لو حدث لي أي شيء.

قال له أخوه معترضًا:

- لا تقُل هذا الكلام.

فرد عليه «ممدوح» مُصرًا:

- عاهدني.

قالها «ممدوح» بصرامة جعلت أخاه يقول له على الفور:

sa7eralkutub.com

- أعاهدك.

فتنهد «ممدوح» وقال له:

- لو متُّ الآن سأكون مستريحًا.

* * *

ساعة الجريمة.. قرابة الرابعة فجرًا.. هذه المرة لم يستيقظ «كرم» على شبح في غرفته أو يسير خارجها، بل استيقظ على جرس الهاتف.. لو لم يكن الأمر مهمًا فسوف يقتل المتصل.

- ألو.. من؟ «سعد» من؟

جاءه الصوت المتوتر من الجانب الآخر:

- أنا النقيب «سعد» يا «كرم بيه».

سأله «كرم» بغيظ:

- ماذا هناك يا «سعد»؟ هل احترقت الوزارة؟

فقال له «سعد» بدهشة:

- الوزارة حتى الآن سليمة.. هل سمعت عنها أي شيء؟

قال له «كرم» بغضب حقيقي:

- هل تتصل بي في الرابعة فجرًا لتداعبني؟

ردَّ عليه «سعد» بجدية:

sa7eralkutub.com

- لا يا باشا، لم أقصد.. هناك شيء مهم.. لقد اتصلت بي «جمالات» الآن.

فسأله «كرم» بقلق:

- هل حدث شيء لـ«مازن»؟

فأجابه «سعد»:

- لقد كانت في منزلها عندما اتصلوا بها في المصحة، قالوا إن «مازن» أصابته حالة هياج مفاجئ منذ قليل ولا يستطيع أحد أن يوقفه.. هل تعرف ماذا يريد؟

فرد «كرم» بنفاد صبر:

- بالتأكيد لا أعرف.

فقال له «سعد»:

- يريد «كرم».. هذا ما يردده ويقوله: أريد «كرم».

فقال له «كرم»:

- ربما يريد تلك اللعبة.

رد عليه «سعد»:

- جرّبوا معه كل شيء.. «جمالات» تظنه يريدك ليخبرك بشيء ما كما أخبرك عن الهاتف.

sa7eralkutub.com

فقال له «كرم» بسرعة:

- هل ستكون «جمالات» هناك؟

فأجابه «سعد»:

- إنها تسكن بجانب المصحة وعندها سيارة.. أظنها وصلت.. ربنا يستر وتصل بالسلامة.

فقال له «كرم» وهو يقوم من على السرير:

- حسنًا.. سوف آتي على الفور.

أغلق «كرم» الهاتف وقام يغيّر ثيابه.. كانت زوجته قد استيقظت وجلست على الفراش.. قالت له بقلق:

- هل حدث شيء؟

فأجابها «كرم»:

- الولد الذي حكيت لك عنه يريد رؤيتي.

فقالت بدهشة:

- الآن؟!

ثم تمتمت وهي شاردة:

- هل أنا أمٌ سيئة؟

عاد «كرم» فجلس إلى جوارها وسألها:

- لماذا تقولين هذا الكلام؟

sa7eralkutub.com

فأجابته:

- منذ أن حكيت لي عن «مازن».. منذ أن رأيت ما حدث لك بالحفل.. وأنا أشعر بالذنب.

تشعر بالذنب؟! لقد اتضح أنها تشعر من الأساس! قال لها «كرم»:

- ضغط الحياة المستمر علينا أبعدنا عن بعضنا.. بعد هذه القضية سوف نذهب كلنا معًا في رحلة.

قالت له «نسمة» فجأة:

- ومَن «جمالات» هذه؟

ابتسم «كرم» وقال لها:

- «جمالات» هذه طبيبة دميمة تعالج «مازن».. نامي يا حبيبتي، سوف أعود على الفور.. هل توجد واحدة جميلة سيكون اسمها «جمالات»؟! هل أحضر إفطارًا معي في أثناء عودتي؟

* * *

عندما وصل «كرم»، لاحظ سيارة «سعد» الواقفة في مكانه المفضل، وهذا كان من أكثر الأشياء التي يمكن أن تزعجه، صعد إلى غرفة «مازن» بسرعة، كان الرواق المؤدي إلى الغرفة به حركة غير عادية، المخبران يقفان خارج الغرفة بخوف؛ لأنهما يعلمان جيدًا أن اللوم سيقع عليهما في

sa7eralkutub.com

النهاية، هما لا يفهمان أي شيء، لكن سيتضح في النهاية أنهما السبب، لم يكلمهما «كرم»، بل دخل الغرفة على الفور، كان «مازن» يجلس على الفراش يحرك قدميه بتوتر بالغ، «سعد» يقف بجوار «جمالات» يراقبها وهي تملي بعض التعليمات على الممرضات.. سألها «كرم» بتوتر:

- ما الذي حدث؟

أجابته وهي تنظر إلى تقرير عن حالة «مازن»:

- لقد سمع المخبر جلبة بالغرفة ففتحها ليجد «مازن» في حالة هياج.. أمسك بالمخبر وقال له إنه يريدك.. نادى المخبر على الممرضات.. لم يهدأ حتى أتيت أنا وأخبرته أنك قادم في الطريق.. من ساعتها وهو على هذا الحال.

عاد «كرم» يسألها وهو ينظر إليه:

- هل يمكن أن أتحدث معه الآن؟

فوضعت «جمالات» الأوراق جانبًا وقالت له:

- سوف نتحدث معه معًا.

جلست «جمالات» على ركبتيها أمام «مازن»، كذلك فعل «كرم»، ففعل «سعد» مثلهما، مع أنه لم يكن له دور.. نظر إليه «كرم» بحنق وقال له:

- ماذا تفعل يا «سعد»؟

sa7eralkutub.com

فسأله «سعد» ببلاهة:

- ماذا أفعل؟

- لماذا تجلس هكذا؟

- أفعل مثلكما.

قال له «كرم» وهو يوشك على ضربه:

- قُم يا «سعد» واختف من أمامي، أنا لم أنسَ حكاية الملبوس.. أنا من كان يظن أن الولد ملبوس؟!

قالت لهما الطبيبة بصرامة:

- هل من الممكن أن تصمتا حتى نحاول أن نعرف ما يريد؟

فأشارا إليها بأنهما سيسكتان.. قالت الطبيبة لـ«مازن»:

- «مازن».. «مازن».. لقد طلبت عمو «كرم».. هل تريد أن تخبره بشيء ما؟ لقد أتى.

نظر «مازن» إلى «كرم» فتهللت أساريره كأنه لم يرَه إلا الآن وقال له:

- «كرم».. اسم جميل.

قال لها «كرم» بغيظ:

- كل هذا من أجل أن يخبرني عن جمال اسمي؟!

تأففت «جمالات» وأخبرته أن ينتظر، ثم قالت لـ«مازن»:

sa7eralkutub.com

- ألا تريد أن تخبره بشيء آخر؟

لم يرد «مازن»، كأنه يفكر.. ثم قال:

- أريد أن أخبره بشيء ما.. لكني خائف.

أزاح «كرم» «جمالات» جانبًا فكادت تقع؛ فهو لم يصدق أن الولد يتحدث معه وقال له:

- ممن تخاف يا «مازن»؟

فقال له «مازن»:

- من «شريف».

فسأله «كرم»:

- «شريف» من؟

فأجابه «مازن»:

- «شريف» اتصل بي على هاتف ماما وأخبرني أن أفتح الباب.

فقال له «كرم»:

- وماذا فعل بعد ذلك؟

كان «مازن» قد بدأ يبكي وهو يقول:

- أنا أحب «شريف».. لكنه قتل ماما.

حاول «كرم» تهدئته فقال له:

sa7eralkutub.com

- لا تخَف يا «مازن»، لن يصيبك مكروه ما دمت معك.. الآن أخبرني.. ماذا حدث بعد ذلك؟

تلعثم «مازن» قبل أن يقول:

- لقد قتل ماما وهددني إذا أخبرت أحدًا.. لكنني رأيته يدفن السكين.

فقال له «كرم»:

- أين دفنها؟

فأجابه «مازن» بعد أن تلفَّت حوله:

- في حديقة المنزل.. تحت الشجرة الكبيرة.

ابتسم «كرم» إليه وقال له:

- لا تخَف يا «مازن» سوف تكون في أمان.

قام «كرم» ومن بعده قامت «جمالات» و«سعد».. قال له «سعد» متسائلًا:

- ماذا سنفعل الآن؟

فرد عليه «كرم»:

- ماذا تعتقد أننا سنفعل يا ذكي؟

فقال له «سعد»:

- أخشى أن تقول لي...

sa7eralkutub.com

فقاطعه «كرم»:

- سوف نذهب فورًا إلى حديقة المنزل.

* * *

عندما شاهد البواب السيارة أصابه الفزع؛ فقد رأى «كرم» بداخلها.. ما الذي أتى به في هذا الوقت؟ وقف البواب أمامه ورجلاه بالكاد تحملانه.. قال له «كرم»:

- هل عندك أي شيء نحفر به؟

فأجابه الرجل وهو يؤدي التحية العسكرية:

- عندي فأس يا بيه.

فقال له «كرم»:

- هاته بسرعة وتعالَ عند الشجرة الكبيرة.

كانت بالفعل شجرة كبيرة ومميزة بالنسبة للحديقة الصغيرة.. ظل «كرم» يتأمل الأرض حولها.. قال له «سعد»:

- هل تبحث عن شيء ما؟

فرد عليه «كرم»:

- لقد وقع مني كارت الحلاق هنا.. أنا لا أستطيع أن أحلق عند حلاق آخر.

رد عليه «سعد» بجدية:

sa7eralkutub.com

- لماذا لا تذهب إليه مباشرة؟ ألا تتذكر مكانه؟

قال له «كرم» وهو يهز رأسه في حسرة:

- لقد كانت أكبر غلطة أنني أخذتك معي في هذه القضية.

فطن «سعد» إلى أنه كان يسخر فقال على الفور:

- يا باشا.. قصدي هيا بنا نحفر.

فرد عليه «كرم» بسخرية:

- هيا بنا نحفر! أين سنحفر؟

فأجابه «سعد»:

- حول الشجرة.

فعاد «كرم» يسأله:

- حول الشجرة أين؟

لم يرد «سعد»، فاستطرد «كرم»:

- هل ترى تلك المنطقة العارية من العشب؟ يبدو أنها حُفرت منذ مدة وجيزة.. سوف نبدأ بها.

كان البواب قد وصل ومعه الفأس.. فأشار إليه «كرم» أن يحفر في المنطقة العارية من العشب.. لم يطل الحفر.. لقد وجدا ما جاءا من أجله سريعًا.

sa7eralkutub.com

قطعة قماش بيضاء مخضبة بالدماء.. فصرخ فيه «كرم»:

- انتظر.

نزل «كرم» على ركبتيه.. أمسك بقطعة القماش.. فتحها بين يديه ليجد السكين.. نظر «كرم» إلى «سعد» وقال له:

- ما رأيك؟

فقال له «سعد»:

- هل تعتقد أن هذا هو سلاح الجريمة؟

فرد عليه «كرم»:

- هذا ما سيؤكده أو ينفيه المعمل الجنائي.

قال له «سعد»:

- أليس غريبًا أن يدفن القاتل السكين هنا؟ ولماذا يلفها في تلك القماشة؟ ليحافظ عليها؟!

فرد عليه «كرم»:

- أمر غريب.. لكن قُل لي.. ما الذي ليس غريبًا في هذه القضية؟ لقد اكتفيت منها.. لو كان هذا هو سلاح الجريمة سأرسل الملف إلى النيابة وينتهي إلى هنا دورنا.

فقال له «سعد» بحزن حقيقي:

- ولن أرى «جمالات» مرة أخرى؟

sa7eralkutub.com

نظر إليه «كرم» صامتًا بعض الوقت ثم زفر في ضيق وهو يهز رأسه بأسى ويردد بحنق:

- ربنا يأخذك أنت و«جمالات» حتى أستريح.

sa7eralkutub.com

ربما تكون النهاية

كانت السكين سلاح الجريمة والدم دم «مي»، وعليها بصمات «ممدوح».. كان ذلك كافيًا لإصدار أمر بالقبض على «ممدوح» وحبسه خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق.. في النيابة قابل «كرم» الدكتور «عبد المحسن».. سلّم عليه وسأله:

- من الذي استدعاك يا دكتور؟

رد عليه «عبد المحسن»:

- لقد جئت للشهادة مع «ممدوح».

فعاد «كرم» يسأله:

- وكيف ستفيد «ممدوح» في هذه القضية؟

فكر «عبد المحسن» قليلًا قبل أن يقول:

- سوف أخبرك بالحقيقة.. أنت ستعرف على كل حال.. «ممدوح» مريض.. مصاب بتعدد الشخصية الفصامي.

فقال له «كرم» وهو يهز رأسه في أسى:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. وما هذا الشيء؟

sa7eralkutub.com

فرد «عبد المحسن»:

- هو تعدد الهويات المتميزة في الشخص الواحد.. مثلًا: أنت «كرم» ضابط الشرطة، وتكون لك شخصية أخرى، شخصية «زبال» مثلًا.

- ألا يوجد غير «الزبال»؟

- أنا أقول مثلًا.. فتكون هناك شخصيتان، وربما أكثر.

فقال له «كرم»:

- آه.. مثل الأفلام؛ لذلك كان «مازن» يتحدث عن «شريف».

فقال له «عبد المحسن»:

- كانت الشخصية الأخرى لممدوح اسمها «ماجد»، لكن ربما كان عنده الكثير من الشخصيات.. هو لم يبدأ العلاج إلا منذ فترة وجيزة؛ لذلك لم أكن قد عرفت الكثير بعد.

سأله «كرم»:

- لكن ما سبب إصابته بهذا المرض الغريب؟

أجابه «عبد المحسن»:

- من كلامي القليل معه، عرفت أن معاملة زوجته له كانت السبب.. بالإضافة إلى أنها لم تكن عذراء عندما تزوجها.. حاول أن يتجاهل هذا الأمر لكنه لم يستطع.. شخصيته الضعيفة أمامها استبدل بها شخصية

sa7eralkutub.com

«ماجد» التي كانت على النقيض.. ما زاد من تطور المرض شعوره بالذنب تجاه «مازن».

سأله «كرم»:

- وما علاقة «مازن» بالأمر؟

أجابه الرجل:

- لقد كان يحبسه في غرفته كلما أراد أن يعاشر «مي» لأنها كانت تتخذ من وجود الولد حجتها لتبتعد عنه.. عندما علم بأمر مرض «مازن» أحس أنه هو السبب وراء مرضه [illegible] وإهماله له، خاصة بعد أن عرف أن المرض نفسي.

سحاب الكتب
sa7eralkutub.com

قال له «كرم»:

- هل من الممكن أن يكون هو القاتل وأن يكون الطفل هو من فتح له الباب؟

أجابه «عبد المحسن»:

- ربما.. ولو كان هو الفاعل فسيكون مصيره مستشفى الأمراض العقلية على كل حال.

عاد «كرم» يسأله:

- لماذا لم تقُل لي هذه المعلومات من قبل؟

فرد عليه «عبد المحسن» وهو يبتسم:

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

- شرف المهنة يحتم عليّ ألا أفشي سر مريضي، أما الآنِ فستُنشر قصته في الجرائد على كل حال.. بل من مصلحته أن يعرف الجميع مرضه.

سمع «عبد المحسن» من ينادي عليه فقال له وهو يقوم:

- بعد إذنك.. يريدونني بالداخل.

هز «كرم» رأسه في فهم:

- لذلك كان يذهب للمصحة دون المرور على «مازن».. كان يذهب للعلاج.

* * *

مرّ قرابة الشهر قبل أن يجد «كرم» تلك الدعوة على مكتبه.. دعوة لحضور حفل خطبة «جمالات» و«سعد».. ابتسم وأمسك بهاتفه ليكلم «سعد» الذي رد عليه:

- الباشا الكبير.

فقال له «كرم»:

- كبير يا نذل! هل أنا غريب حتى ترسل إليّ دعوة مثلي مثل الغريب؟

فرد عليه «سعد»:

- كيف تقول مثل هذا الكلام يا كبير؟

sa7eralkutub.com

- على العموم.. ألف مبروك وربنا يتمم بخير.

بعد أن أغلق الخط ظل يتأمل في الدعوة ويقول لنفسه:

- «سعد» و«جمالات».. فرح البواب وبائعة الخضار.. أسماء غريبة!

* * *

- «سعد» و«جمالات».. البواب وبائعة الخضار.. من أين أتيت بتلك الدعوة؟

ردَّ عليها «كرم» موبخًا:

- عيب يا «نسمة».. لا تقولي هذا الكلام عن «سعد».. السخرية حرام.. هل ستأتين معي؟

فقالت له زوجته بلهجة ذات مغزى:

- بالطبع سوف آتي حتى أرى تلك الطبيبة الدميمة التي قلت لي عنها.

هذا عيب أن تكذب على امرأة؛ فذاكرة النساء قوية للغاية.

* * *

كان من عادة «كرم» أن يقرأ أول ما يقرأ في الجريدة صفحة الحوادث.. في ذلك اليوم كانت حادثة انتحار «ممدوح» في كل الجرائد.. انتحر في مستشفى الأمراض العقلية.. ترك رسالة قال لهم فيها:

- لا أريد أن أؤذي أي أحد آخر.. لكنني لم أكن أعلم.

sa7eralkutub.com

بذلك تنتهي القضية رسمياً، ويُغلَق الملف.

* * *

في المستشفى الدولي، رقد «شاكر بيه»، الذي أصابته الجلطة هو الآخر بعد أن سمع نبأ انتحار ابنه.. دقات على باب غرفته نبّهته لينظر إلى الباب؛ حيث كان آخر شخص يتوقعه.. «عبد الرحيم».. دخل «عبد الرحيم» ببطء وجلس بجواره دون أن يتكلم.. نظر كلٌ منهما إلى الآخر وبدآ في البكاء.. قال «عبد الرحيم»:

- كيف حالك يا «شاكر»؟

- كما ترى.. وأنت؟

- لست بأفضل حالاً منك.

قال له «شاكر»:

- لقد فقدنا كل شيء يا «عبد الرحيم».

ردّ عليه «عبد الرحيم»:

- البركة في «حاتم».

- أنت تعرف أنه عقيم لا ينجب.. البركة في «مازن».

قال «عبد الرحيم»:

- أين هو الآن؟

sa7eralkutub.com

أجابه «شاكر»:

- لقد أخذه «حاتم» إلى منزله.

- لم يبقَ لنا غيره.

- لقد أخطأ الجميع ودفعنا ثمنًا باهظًا.

دخلت الممرضة فوجدت «عبد الرحيم» فقالت له:

- ما الذي أتى بك إلى هنا يا «عبد الرحيم بيه»؟

فقام «عبد الرحيم» ليعود إلى غرفته وهو يقول:

- لم يعد لنا غيره يا «شاكر».. لم يعد معنا غيره.

وخرج عائدًا إلى غرفته.

sa7eralkutub.com

ما لم يعرفه أحد

أرسل «حاتم» خادمتين لتنظيف شقة أخيه وترتيبها لبيعها بما فيها.. كانت إحداهما تغسل الأطباق وتنظف المطبخ وترتبه.. لاحظت عدم وجود إحدى سكاكين الطعام.. الملاعق عددها مثل الشوك والسكاكين تنقص واحدة.. لكنها لم تكترث لهذا الأمر كثيراً.. ربما ضاعت، وهذا شيء عادي.

* * *

- نعم.. لقد جاء «ممدوح بيه» فتغدى مع «مازن» ثم لعب معا قليلًا ثم رحل.. فور رحيله طلبت مني سيدتي الذهاب.. طلبت منها أن أنظف مكان الغداء، لكنها أصرت على أن أرحل على الفور.

* * *

الخادمة الأخرى وجدت مفتاح غرفة النوم مخبأ في دولاب «مازن».. ربما كان يلعب به.

* * *

يبدو أن الباب كان موصدًا من الداخل فكسر القاتل الزجاج ليفتحه.

* * *

sa7eralkutub.com

جلس «هشام» مع أصدقائه بالنادي يتحدث معهم عن الحادث.. كان من أقرب الناس إلى «ممدوح» قبل أن يتحول وينطوي على نفسه.. قال لهم:

- لقد كنت أراه في ملهى «الفردوس» كل ليلة.. لكنه كان دائمًا يجلس بمفرده أو مع إحدى الفتيات العاملات بالملهى.. أنتم تعرفون الخدمة بالملهى على أكمل وجه.. كان في الآونة الأخيرة شاردًا.. زائغ البصر.. كنت أحاول الجلوس معه فكان ينظر إليّ كأنه لا يعرفني.. يوم الجريمة المذكور بالجريدة لا أدري هل كان هناك أم لا.. أظنه كان هناك.. أنا لا أتذكر.. لكني أعتقد أنه كان هناك.. لكن لو لم يكن القاتل فلماذا انتحر؟!

* * *

- «حاتم».. بصراحة هذا الصبي لا يريحني.

قالتها زوجة «حاتم» فردَّ عليها بلوم:

- هذا الصبي ابن أخي ولم يعد له غيري.. نحن لم نُرزق بأطفال.. كنت تريدين أن نتبنى طفلًا.. ربما كان هذا الولد عوضًا لنا.

ردت عليه الزوجة معترضة:

sa7eralkutub.com

- لكن نظراته لا تريحني.. طريقته لا تريحني.

قال لها زوجها:

- أنت تعرفين أنه مريض.

- نكن يا «حاتم»...

قطعت الزوجة كلامها ونظرت برعب إلى ذلك الشيء خلف «حاتم» الذي نظر خلفه ليجده.. «مازن».. مشى «مازن» ببطء عائدًا إلى غرفته.. استوقفه «حاتم» وقال له بحنان:

- هل تريد شيئًا يا حبيبي؟

نظر إليه «مازن» وسأله ببراءة:

- هل ستتركني أنت أيضًا يا عمي؟

رد عليه «حاتم»:

- بالطبع لا.. سأظل معك للأبد.

فعاد «مازن» يقول له:

- لكن الجميع تركني.

عاد «حاتم» يقول له وهو يحتضنه:

- لا تخَف.. أنا أحبك أكثر من أي شيء في حياتي.

ابتسم «مازن» برضا ونظر إلى زوجة عمه التي كانت تقف خلف «حاتم» نظرةً جمّدت الدماء في عروقها.

sa7eralkutub.com

* * *

لقد تركوني معك في الظلام.. وحدي معك في الظلام.. كنت في البداية أخشاك.. كنت أصرخ إليهم حتى يخرجوني من عندك.. لكنك صرت الآن أفضل صديق لي.. وقد دفعت ثمنًا غاليًا لهذه الصداقة.. كذلك دفع الجميع.. هل أنت معي يا «شريف»؟

كان «مازن» يرسم رجلًا كبيرًا ومعه طفل صغير يبكيان.. وآخرين يضحكان.. ثم شطب على اللذين يبكيان.. وتردد قليلًا قبل أن يشطب على الرجل الضاحك.. فبقي الصبي الصغير الذي يضحك فقط.

ابتسم «مازن» في رضا ثم أغلق كراسة الرسم واستعد للنوم ملء جفونه في بيته الجديد..

لكنه فجأة عاد وقام من نومه ليمسك بالقلم ويرسم سيدة.. حاول أن تكون شابة ولها شعر أصفر مثل زوجة عمه..

وبدأ يفكر.. ماذا سيفعل بها؟

هل سيتركها أم سيشطب عليها؟

إلى اللقاء والجزء المتمم لرواية «حالة توحد».

sa7eralkutub.com

من الجزء المتمم لرواية «حالة توحد»

مر عام وظن الجميع، بمن فيهم «كرم»، أن القضية قد انتهت، كان «كرم» يتمنى ألا يرى «مازن» مرة أخرى.. لكن يبدو أن ما رآه كان البداية فقط.. وأمامه الكثير من الأحداث مع «مازن».

* * *

حتى كان ذلك اليوم الذي تتذكره جيدًا، يوم خرج فيه «مازن» مع والده ولم يعد كما خرج، عاد فيه شيئًا غريبًا، شيئًا شعرت به ولم تفهمه، شيئًا جعل القشعريرة تسري في جسدها، «مازن» لم يعد ذلك الطفل البريء، والأمر ليس مجرد توحد.

sa7eralkutub.com

www.sa7eralkutub.com

sa7eralkutub.com

أعمال الكاتب

- التشريفة (مجموعة قصصية)
- حالة توحد (رواية)
- استجواب (رواية)
- الحشّاش (رواية)
- رقصة الشيخ (رواية)

تحت الطبع

- (الجزء المتمم لرواية حالة توحد)

* * *

صفحة الكاتب على الفيس بوك: أدبيات - محمود أمين

https://www.facebook.com/adabiat.mahmoud

صفحة دار بصمة على الفيس بوك: دار بصمة للنشر والتوزيع

https://www.facebook.com/darbasma

sa7eralkutub.com

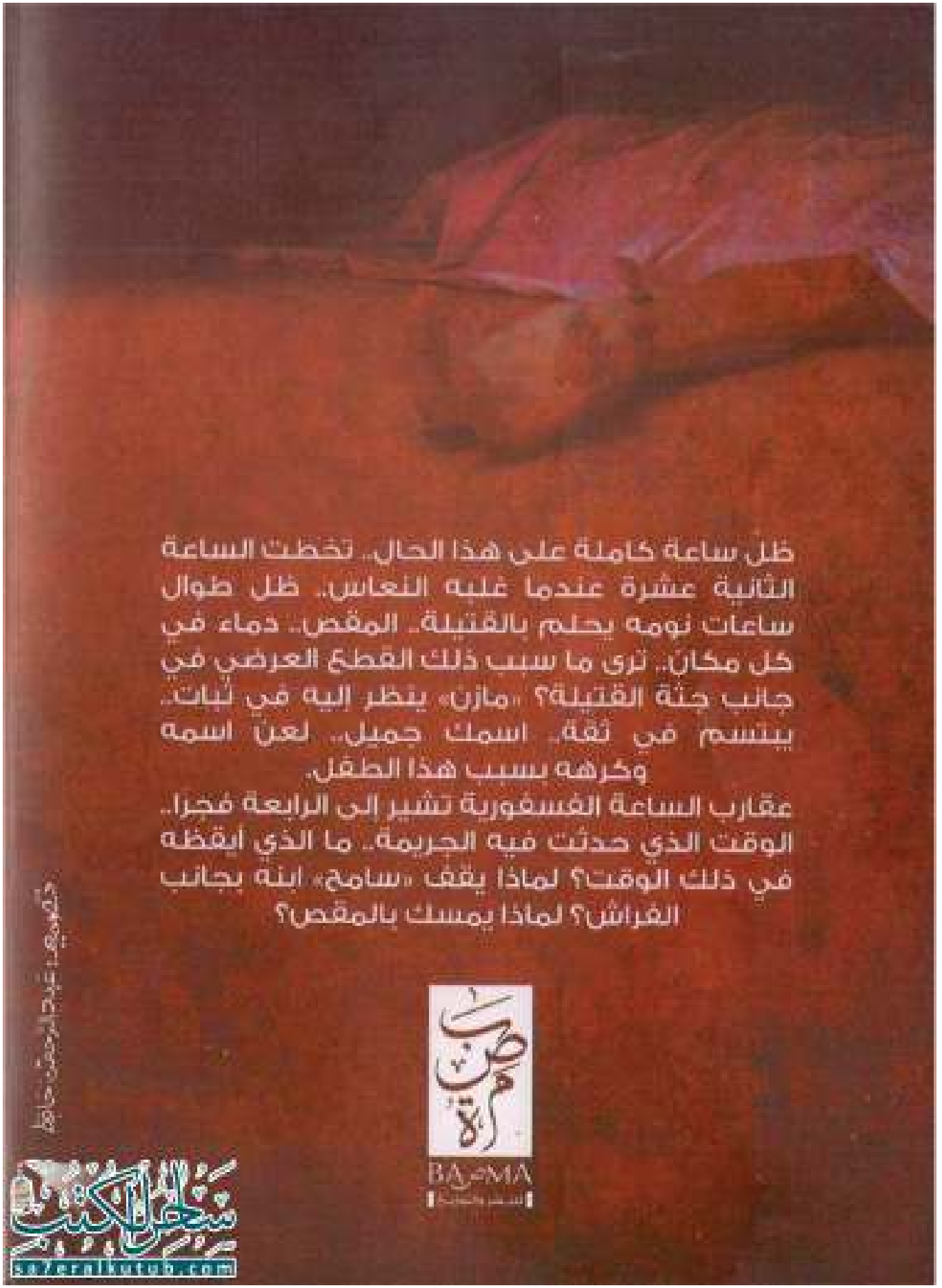

ظل ساعة كاملة على هذا الحال.. تخطت الساعة الثانية عشرة عندما غلبه النعاس.. ظل طوال ساعات نومه يحلم بالقتيلة.. المقص.. دماء في كل مكان.. ترى ما سبب ذلك القطع العرضي في جانب جثة القتيلة؟ «مازن» ينظر إليه في ثبات.. يبتسم في ثقة.. اسمك جميل.. لعن اسمه وكرهه بسبب هذا الطفل.

عقارب الساعة الفسفورية تشير إلى الرابعة فجرا.. الوقت الذي حدثت فيه الجريمة.. ما الذي أيقظه في ذلك الوقت؟ لماذا يقف «سامح» ابنه بجانب الفراش؟ لماذا يمسك بالمقص؟

تأليف: عبد الرحمن حافظ

sa7eralkutub.com